

أجّاتاكُرّيتي

# فِئاة طيبئة



المكتبة الثقافية  
بيروت

## غادة طيبة

- ١ -

وقفت رزنوب الشابة الجميلة تنظر إلى النيل ، وهي تسمع عن بعد صوت أخويها ، يحموز وسوبك يتجادلان في شأن بعض الجسور وحاجتها إلى التقوية .

وكان صوت سوبك ، كمادته دائماً ، عالياً جريئاً ، وقد أخذ يؤكد صحة رأيه وكان حقيقة ثابتة . أما يحموز فكان صوته خافتاً ينيء عن الضجر والشك والقلق والخوف ، ولا عجب فهو أكبر إخوته ، وكان عليه لهذا كلما سافر أبوه لتفقد أملاكه في شمال الوادي ، أن يتولى إدارة المزرعة بالنيابة عنه .

وقد تعودت رزنوب ، منذ طفولتها ، مثل ذلك الجسدل من أخويها على تناقضهما في الطبع ، لكن صوتهما في تلك الساعة ، يمت في نفسها الطمأنينة ، إذ شعرت بأنها عادت أخيراً إلى بيت الأسرة حيث طالما سمعت بالأمان والحنان !

وفيا هي تردد بصرها في النيل الشاحب اللامع ، عاودها شعور الثورة والألم ، فقد تذكرت موت «خاي» زوجها ذي الوجه الضاحك والكتفين

المريضتين ، فهو الآن مع اوزيريس في مملكة الأموات ، تاركاً إياها لوحدها  
الموحشة ، بعد ان عاشت معه ثمانى سنوات ، وكانت حين تزوجها أقرب  
إلى الطفولة ، وها هي ذي الآن قد أصبحت أرملة ، ورجعت مع طفلتها تتيق  
إلى بيت أبيها !

وخيل اليها في هذه اللحظة انها لم تغادر بيت أسرتها قط ، واطمأنت  
إلى هذا الخاطر ، عساها ان تنسى تلك السنوات الثمان التي كان يملؤها الهناء  
ثم انتهت إلى الألم والحزن !

وقالت تحدث نفسها : لن أفكر في الماضي فقد انتهى ، وها أنذا في  
بيت أبي ، وكل شيء باق كما كان من قبل ، وأنا ايضاً لن البث حتى أعود  
كما كنت تماماً ، ولقد نسيت تتيق أبها كذلك ، فهي تلعب مع لداتها  
ضاحكة .

واستدارت رتزنوب بفتة واتخذت طريقها إلى البيت ، مارة ببعض حيز  
تحمل أثقالها إلى شاطئ النهر ، حتى وصلت إلى صوامع القمح وبعض المرافق ،  
ومن ثم ولجت البوابة إلى فناء الدار .

ولاحظت ان ابنتها تتيق تلعب بأرد خشبي صغير ينفث فيه ويفاق يجذب  
خيوط ، فتذكرت انها كانت ايضاً تلعب به في طفولتها .  
وتدحرجت عند قدميها كرة كان أحد الأطفال يلعب بها ، فتناولتها  
ورمتها اليهم ضاحكة .

ثم مضت رتزنوب إلى الشرفة الأرضية ودخلت الدار مارة بردهتها الفسيحة  
إلى الجزء الخلفي حيث جناح النساء .  
واخترقت أذنيها أصوات عالمية ، فوقفت تنصت مسرورة لسماح الضجة  
القديمة المألوفة .

أجل فقد كانت ساتيبي وكيت تتجادلان كالمعتاد . وتذكرت نبرات  
صوت ساتيبي في قوته وصياحه ، وساتيبي هي زوجة أخيها يحموز ، وهي

إمرأة طويلة القامة بادية النشاط ، مرتفعة الصوت ، ذات جمال ورغبة في  
التسلط والسيطرة .

وكلما سكنت ساتيبي ، كانت رتزنوب تسمع صوت كيت هادئاً عنيداً ،  
وكانت كيت زوجة سوبك الوسيم ، وهي امرأة بدبنة عاطفة من الجمال ، لا تهتم  
إلا بأطفالها ولا تكاد تتحدث إلا عنهم .

وصاحت ساتيبي قائلة :

- هذا شيء فظيع ! لو ان ايحموز همة فأر لما رضي بذلك لحظة . من الذي  
يدبر الأمور في غياب أحموتب ؟ يحموز طبعاً ، وأنا بصفتي زوجة يحموز يجب  
أن يكون لي حق الاختيار الأول للحصر والوسائد ، ولكن تلك الأمة السوداء  
التي تشبه جاموس النهر ..

وهنا سمع صوت كيت وهي تخاطب أحد اطفالها قائلة :

- كلا ! كلا يا عزيزي ! لا تأكل شعر الدمية .. خذ هذا فهو شيء  
أحسن تأكله .. انه قطعة حلوى !

فقال لها ساتيبي :

- أما انت يا كيت فلا تعرفين الأدب ، انك لا تصفين لما أقوله ، ولا تهيبين  
بكلمة ، ان سلوكك شائن !

- إن الوسادة الزرقاء كانت لي دائماً .. آه ! أنظري الى عنخ الصغيرة !  
إنها تحاول ان تمشي !

- انك بليدة الفهم مثل أطفالك ، ولكنك لن تحققي بفتك بهذه السهولة ،  
فإن لي حقوقي وسأناها !

\* \* \*

وممعت رتزنوب وقع قدمين خلفها ، فاستدارت مرعاة ، وإذا بها ترى المرأة

حننت وراءها ، فنظرت اليها وقد تملكها شعور كراهية لا تدري له سبباً ،  
وقالت لها حنت وقد علت وجهها النحيل ابتسامة خفيفة :

- لملك ترين يا رزنوب ان الأحوال هنا لم تتغير كثيراً ، إننا جميعاً ما زلنا  
نصبر على حدة لسان ساتيبي ، ولا أدري كيف نصبر؟! ولا شك ان كيت  
تستطيع ان تجادلها . اما انا فإني اعرف مكاني ولا اتخطى حدودي . إنني  
مدينة لأبيك بالشكر إذ منحني المأوى والغذاء والكساء ، إنني لدايمة العمل  
هنا او هناك . ولو كانت امك العزيزة على قيد الحياة لاختاف الامر ، أجل  
فانها هي التي كانت تقدرني حق قدري ، فقد كنا بمثابة اختين ، لقد وفيت  
بوعدي لها ، اذ قالت لي وهي تجود بروحها : اعني بالاطفال يا حنت . وقد  
اعتنيت بكم وكنت لكم بمثابة أمة رقيقة .

ثم انسلت كسعبان الماء ودخلت غرفة هناك ، ومضت رزنوب ، وقد  
ثار في نفسها بغضها القديم لحننت . ومن عجب انهم جميعاً يكرهون  
هذه المرأة

وكانت حنت امرأة لا تسر رؤيتها ، ولكنها برغم غباوتها البادية كانت  
تعرف كل ما يجري في البيت ، والفضل في ذلك لتسللها دون صوت من مكان  
الى مكان ، وانصاتها لكل ما يقال متجسمة على من فيه .

وقفت رزنوب لحظة تستمع الى جدال زوجتي اخويها ثم ذهبت الى غرفة  
صغيرة خاصة يجدها ايزا .

وقفت ساكنة وقد اغمضت عينيها نصف اغماض ، ومن ثم كانت تسمع في  
آن واحد ضجيج المطبخ ، صوت جدتها الحاد المرتفع ، صياح ساتيبي ، صوت  
كيت الخافت مؤكدة ما تقوله في عناد .. بليلة اصوات من نساء يتكلمن  
ويضحكن ويصخبن ويصرخن !

وشعرت رزنوب انها تكاد تخنق في هذه البيضة التسانية الصاخبة . اجل  
انه منزل مملوء بنساء لا حدان قط ، بل لا يفتان يتكلمن ويصحن ويقلن

اشياء لا يفعلنها ابداً !

وخرجت رزنوب من الدار مسرعة ، فأبصرت سوبك عائداً من  
الحقول ، وشاهدت على بعد يحموز قاصداً الى المقبرة ، فاتخذت طريقها  
صوبه ومضت في درب يوصل الى صخور الكلس ( الجير ) التي شيدت  
المقبرة فوقها .

ولما بلغت رزنوب نهاية الدرب المنحدر ، رأت اخاها يحموز يتحدث مع  
حوري وكييل اعمال ابوها .

لقد كانت منذ نعومة اظفارها تحب اخاها يحموز وكذلك كان حوري  
دائماً لطيفاً معها منذ كانت طفلة صغيرة .

وكان حين غادرت المنزل منذ ثمان سنوات ، شاباً رزيناً كثير الصمت ،  
والآن خيل اليها انه لم يتغير ، وان كان اكبر سناً من قبل ، ولم تتغير  
ابتسامته الرزينة .

وكان يحموز وحوري يتمتان معاً قائلين :

- ثلاثة وسبعون اردباً من الشعير مع ابي الصغير .. واذن .. تكون  
الجملة مائتين وثلاثين اردباً من القمح ، ومائة وعشرين اردباً من الشعير ! .  
ولكن هناك ثمن الخشب ، وقد دفع ثمن المحصول في ( برها ) مبادلة  
بالزيت ! .

وظلا يحسبان ، بينما جلست رزنوب تستمع صامتة ، ثم قام يحموز  
وتناول حوري ورقة البردى ، ومكثت رزنوب ساكنة وما لبثت ان امسكت  
برقعة الورقة وسألت حوري :

- اهذا كتاب من ابي ؟

- نعم .

- ماذا يقول فيه ؟

فتناول حوري الخطاب واخذ يقرأ بصوت هاديء :

خادم المزرعة وخادم كا ، المحو تب ، يقول : عسى ان يكون حظك  
كحظ من يعيش مليون سنة . عسى الرب ( حير شاف ) رب ( هيرا كليوبوليس )  
وجميع الأرباب ان يـمـاونوك . عسى الرب ( بتاح ) يسر قلبك بالعمر  
الطويل ..

إن الإبن يخاطب أمه ايذا سائلا :

كيف حالك في معيشتك وطمانينتك وصحتك ؟ . وكيف حال أهل  
الدار جميعاً ؟ . كيف أنتم ؟ .

وأنت يا بني يحموز :

كيف حالك في معيشتك وطمانينتك وصحتك ؟ . يجب ان تجني من  
الأرض أكبر محصول .. أبذل كل جهد وافلح الأرض بكل همة وإذا وجدتك  
مجتهداً فإني سأدعو الرب لك .

وهنا ضحكك رتزنوب قائلة :

— إن يحموز المسكين يرهق نفسه أشد إرهاق في العمل !

فاستأنف حوري قراءة الخطاب :

— إعتن يا بني أبي فقد علمت انه مستاء ، ولا تدع ساتيبي تسيء معاملة  
حنت ، ولا تفس ان تكتب لي عن الكتان والزيت واحرس محصول القمح  
واحرس كل شيء يخصني ، لأنني أعدك مسؤولاً عن كل شيء ، وإذا غمر الماء  
أرضي فالويل لك ولسوبك .

فقالت رتزنوب :

— إن أبي لم يتغير ، فهو لا يفتأ بحسب ان الأمور لا تجري كما ينبغي لها إذا  
كان غائباً .. نعم ان كل شيء كما هو !

فلم يجب حوري وإنما تناول رقعة من البردى وأخذ يكتب .

ثم قالت له فجأة :

— لقد كنت تصلح لي الأسد الخشبي ، الذي كنت اللعب به ..

أتذكر ذلك ؟

ففوجيء بهذا السؤال ، لكنه رد بعد هنيهة بقوله :

— نعم .. كنت أصنع ذلك من أجلك يا رتزنوب .

— إن تبقي قلعب به الآن ، إنه الأسد نفسه !

ثم تنهدت وقالت :

— حين ذهب خاي إلى اوزيريس ، تولاني حزن شديد ، ولكني الآن قد

عدت إلى المنزل ، وسأهنا بعيشي ثانية وأنسى ، لأن كل شيء هنا لم يتغير .

نعم لم يتغير شيء مطلقاً !

فسألها :

— أنظنين ذاك حقاً يا رتزنوب ؟

فنظرت اليه متعجبة قائلة :

— ماذا تعني ؟

— أعني أنه يوجد تغيير دائماً . وإن ثمانى سنوات ، ليست بالشيء

القلييل !

— نعم ، ولكن لم يتغير شيء هنا !

— إذن سيحصل تغيير !

— كلا ! . أود لو يبقى كل شيء كما هو !

— ولكنك أنت نفسك الآن غير رتزنوب التي ذهبت مع خاي منذ

ثمانى سنوات !

— أعتقد إنني عدت .. او على الأقل سأعود كما في السابق !

فهمز حوري رأسه قائلاً :

— إن أحداً لا يستطيع ان يعود الى الوراء !

— ولكني لا أزال رتزنوب !

— نعم ، غير ان رتزنوب يضاف اليها كل حين شيء من أثر الزمن ، فأنت

تطورين تطوراً لا ينقطع !

فهزت رأسها قائلة :

- كلا ، وأنت لا تزال حوري .

ورد عليها هو قائلاً :

- هذا ما تظنينه ، ولكن الواقع لا يؤيد هذا الظن .

فأطرقت هنيئة مفكرة ثم قالت :

- كيف ؟ إن يحموز ما زال كما كان على قلقه وخوفه ، وساتيبي

لا تزال تنهره ، وهي وكيت لا تزالان تتشاجران بسبب الحصر والخرز ،

وحين أعود إليهما سأجدهما تضحكان معا بعد الشجار .

وحنه لا تزال تدب على الأرض وتستمع لما يقال ، ثم تشكو حالها

وتتحدث عن إخلاصها ..

وجدتي تلوم خادمتهما في شأن القماش .

فقد وجدت كل شيء كما كان .. وقريباً يرجع أبي من سفره ، ويحدث

ضجة ثم يقول لهذا :

« لماذا لم تفعل ذلك ؟ »

ويقول لذلك :

« كان ينبغي ان تفعل ذلك ! »

وسيدو يحموز مهموماً ، بينما يضحك سوبك ولا يكثر ، وسيدل أبي

أخي الصغير أبي ، مع انه صار الآن في السادسة عشرة من عمره كما كان

بدله حين كان طفلاً صغيراً ..

وهكذا .. لا يتغير شيء إطلاقاً !

وسكنت رنزنوب وقد أنهكها الكلام ..

فقال حوري بلطف :

- انك لا تدريين يا رنزنوب ان هناك شراً يأتي من الخارج فيبدو اثره بصيب

الناس جميعاً ، وان هناك شراً ينبعث من الداخل دون ان تكون له دلالة  
خارجية تم عنه ، وهو ينمو ببطء يوماً بعد يوم !

فنظرت اليه رنزنوب متمجبة ، وكان يتكلم وكأنها يحدث نفسه . ثم

قالت له :

- ماذا تعني بذلك يا حوري ؟ انك تخيفني !

- انا نفسي خائف !

- ولكن .. ماذا تعني ؟ وما ذلك الشر الداخلي الذي تتحدث عنه ؟

فنظر اليها مبتسماً وقال :

- انسي ما قلته يا رنزنوب .. انما كنت أفكر في الآفات التي تصيب

المحاصيل !

- كانت ساتيبي تكلم يحموز قائلة له :

- يجب ان تثبت وجودك . هذا ما أقوله لك ، وان يقدروك الا اذا أثبت وجودك .. ان أباك لا يفتأ يقول :

« يجب عمل هذا ، ويجب ترك ذلك ، ولماذا لم تفعل ذلك ؟ »

وأنت تصفي كالحمل الوديع ولا ترد الا بقولك : « نعم ، نعم » ، وتعتذر عن أشياء يزعم أبوك انها كان ينبغي ان تعمل . الرب وحده يعلم انها مستحيلة ! ان أباك يعاملك كأنك طفل او على الأكثر كأنك غلام صغير ، كما لو كنت في مثل سن ابيي !

فقال يحموز في صوته الهادي :

-- ان أبي لا يعاملني أبداً كما يعامل ابيي .

فوضعت ساتيبي يدها على كتف زوجها وقالت :

- نعم ، انه حقاً لا يعاملك كما يعامله ، فقد شغف حباً بذلك الولد المدلل .. ولكن التدليل يفسد ابيي يوماً بعد يوم ، فهو يتسكع مختالاً ، ولا يؤدي عملاً يذكر ، معتمداً على تسامح ابيه معه ، وانتصاره له على طول الخط . انك انت وسوبك يجب ان تتخذوا موقفاً حازماً في شأن هذا الغلام .

فهز يحموز كتفيه وقال :

- وما فائدة ذلك ؟

- انك توشك ان تفقدني عقلي .. انت انسان بلا روح ، وكانك لفرط وداعتك امرأة لا رجل ! انك تسلم بكل ما يقوله أبوك ، وتقر كل ما يفعله .

- وماذا أصنع ؟ اني أحب أبي كثيراً .

- أجل انت تحبه كثيراً ، وهو يستغل ذلك كل الاستغلال ! . انك تقبل منه التقربيع واللوم بوداعتك المعهودة ، وتعتذر عن أشياء ليست من ذنبك ! . يجب ان تناقشه وترد عليه كما يفعل سوبك ! . ان سوبك لا يهاب أحداً .

- اجل . هذا حق يا ساتيبي ، ولكن لا تنسي ان ابي يشقني أنا لا بسوبك انه لا يعتمد عليه مطلقاً ويترك كل شيء لتقديرى !

- ولهذا السبب يجب ان يدخلك ابوك شريكاً في المزرعة ا انك تنوب عنه في المزرعة في سفره ، وتقوم بمهمة ( كاهن كا ) ، وهو يترك الأمور بيديك ، ومع هذا كله ليست لك سلطة ! . يجب ان تكون هناك تسوية عادلة . انك الان رجل في وسط العمر ، فلا يصح ان تعامل كما لو كنت طفلاً .

- ان أبي يحب ان يسير الأمور بنفسه .

- انه ليسره ان يرى كل فرد بالدار معتمداً عليه مليباً لطلباته ، ولكن هذا أمر سيء جداً ، ويزداد سوءاً مع الزمن . ويجب عليك حين يهود من السفر ان تصارحه بجرأة ، وان تطالبه بتسوية مدونة في وثيقة ، وان تصر على ان يكون لك مركز محدد .

- انه لن يصفي الي .

- اذن يجب عليك ان ترغمه على الإصغاء .. آه لو كنت انا رجلاً !

لو كنت أنا في مكانك يا يحموز لعرفت ماذا أفعل ! إنني أحياناً أشعر بأني تزوجت دودة !

فاحمر وجه يحموز حين سمع ذلك وقال :

- سأرى ما يمكنني عمله .. لعلي .. أجل لعلي أتحدث معه .. وأرجوه !  
- ليس المهم أن تكلم أباك ، ولكن المهم أن تعرف كيف تكلمه ، وأن تكون رجلاً لا فاراً حينذاك !

\*\*\*

كانت كيت تلاعب ابنتها الصفري ( عنخ ) التي تحبو أمامها ، وكلما أمسكت هذه عن الحبو أخذت تشجعها بكلمات ضاحكة . ثم تلفت نظر سوبك إلى تعتر صغيرتهما ، ولكنها لم تلبث أن أدركت انه غير ملق باله اليها بل يجلس مقطب الجبين شارد الفكر فسألته :

- ماذا بك يا سوبك ؟ إنك لا تنظر إلى عنخ ، ألا يهمك أن تراقبها وهي تحبو وتتعلم المشي ؟

فقال سوبك بضجر :

- عندنا أشياء أخرى تستحق التفكير والقلق !

- اليس كل شيء على ما يرام ؟

فقال سوبك بكدر :

- إن أبي لا يثق بي ، إنه شيخ عتيق في تفكيره ، ولكنه مع ذلك يصر على أن يرسم بنفسه خط السير لكل عمل يؤدي هنا ، ولا يترك لي حرية التصرف في أي شيء !

- أجل ، هذا أمر لا يسر !

- لو ان يحموز كان أكثر حزمًا ، ولو انه بسندي ، لكان هناك أمل

في جعل أبي يرى الحقيقة بعينيهِ ، ولكن يحموز جبان وهو ينفذ تعليمات أبيه بحذافيرها !

وهنا رمت كيت بعض المحرز للطفلة وهي تقول :

- هذا صحيح !

بينما واصل سوبك كلامه فقال :

- على اني فيما يتعلق بالخشب سأقول لأبي بعد عودته اني تصرفت حسبما رأيت ، وإني آثرث أن أتسلم الشحنة كتاناً بدلاً من الزيت !  
فقالت وهي ترقب طفلتها :

- إنك شجاع وبارع يا سوبك !

ولكن سأسمعه بعض الحقائق هذه المرة إذا تجرأ على انتقادي ، وإذا لم يترك لي حرية التصرف فسأغادر هذه المزرعة وأذهب بعيداً ؟

- تذهب بعيداً ؟ أين ؟

- إلى حيث أجد عملاً ، فاني لا أطيق بعد اليوم أن ينهرني شيخ مغرور

غير فارك لي مجالاً للتصرف !

- كلا ! كلا يا سوبك ، إنني أقول لك : كلا !

فنظر اليها ملياً متمجباً من لهجة الحزم التي بدت منها وهي التي اعتادت

الخضوع له والموافقة على كل ما يقوله ، وسألها قائلاً :

- ماذا تعنين يا كيت ؟

- إنني لن أدعك ترتكب هذه حماقة ، إن المزرعة كلها ملك أبيك ،

سواء منها الأرض والمزروعات والماشية والأخشاب وحقول الكتان ، وكل

شيء ! وحين يموت أبوك يصبح ذلك كله لك وليحموز ولأولادها ، فإذا اختلفت

مع أبيك وغادرت بيته فإنه يقسم نصيبك بين يحموز وإبي ، وأنت تعلم انه

يؤثر إبي بالنصيب الأوفى من حبه . ولا شك في أن أبي يعرف ذلك ويستغله ،

وهو يتمنى أن تتشاجر مع أحموتب وتغادر بيته ، كلا ! إن علينا أن نفكر



في أطفالنا ومستقبلهم !

فنظر اليها وقال :

- إن المرأة داهية ، ما كنت أحسبك يعزيتي بعيدة النظر إلى هذا الحد

- لا تتشاجر مع أبيك ولا ترد عليه ، بل اعتصم بالصبر مرة أخرى !

- لعلك على صواب ، ولكن قد تستمر هذه الحالة سنوات عديدة أخرى

يحدث بأبي أن يشركنا معه في المزرعة .

- لن يفعل ذلك ، فإنه يحب أن يقول دائماً انه يطعمنا ويكسوننا وإننا

كلنا عائلة عليه ، وإننا من دونه ما كنا لنجد مشوى لنا !

- يبدو لي أنك لا تحبين أبي يا كيت ؟

ولم تجب بشيء ، بل التفتت إلى صغيرتهما عنخ ونادتها قائلة

- تعالي يا عزيتي ، هذه دمية لك تعالي !

فنظر سوبك إلى رأسها الأسود نظرة حائرة ثم مضى في سبيله .

\*\*\*

بعثت إيزا في طلب حفيدها إبي فضى اليها ، وهو فق وسيم الظلمة  
بادي السخط ، فأخذت تنظر اليه بعينيهما الضيقتين وتعنفه بصوتها الصارخ  
قائلة :

- ما هذا الذي أسمه عنك ؟ إنك لا تريد أن تفعل هذا ولا تحب أن

تفعل ذلك ، إنك لا ترضى أن ترعى الثيران ، وتأبى أن تصحب يحموز أو

تعمل في فلاحه الأرض ! كيف الأمور إذا كان طفل مثلك يفرض ما يريد

على الكبار ؟

فقال ابي عابساً :

- إنني لست طفلاً ، بل أنا شاب ، ولا أحب أن اعامل كطفل فأكلف

هذا العمل أو ذلك دون أن يسمع لي رأي ، ودون ان يدفع لي أجر ، بل أنلقى

دائماً أوامر من يحموز ! ماذا يحسب يحموز نفسه ؟

- إنه أخوك الأكبر ، وهو الذي يشرف على المزرعة حين يكون ابني

أحوتب غائباً .

- إن يحموز غيبي .. إنه بطيء الحركة ، بليد الفهم .. وأنا أبرع منه

كثيراً ، وسوبك غيبي أيضاً برغم كل تفاخره ببراعته ! لقد كتب أبي اليهما

موصياً بأن أؤدي العمل الذي يروقي .

- إنك غلام أفسده التدايل . وسوف أقول ذلك لأحوتب

- إن أبي يقدر رجاحة رأيك .

- قد يكون هذا ، لكنك يجب ان تعمل ، وان تطيع .. ولا تنس أنك

أصغر أفراد الأسرة سناً .

- وما شأن السن في ذلك ؟ إن أبي صاحب الأمر هنا ، وأنا أعرف كيف

أسيره . وأنت تعرفين ان أبي رجل ضعيف رغم كل كلماته الضخمة وانه ..

ولم يتم ابيبي كلامه ، إذ رأى جدته تنظر فوق كتفه إلى ما وراءه ، فاستدار

فرأى حنة واقفة خلفه ، وما لبثت ان قالت له :

- أتقول ان أحوتب رجل ضعيف ؟ أحسبه لا يسره ان يسمع ان هذا

رأيك فيه .

فضحك ابيبي ضحكة تدل على القلق وقال لها :

- لكنك لن تقولي له ذلك .. تعالي يا حنة وعديني بذلك

فقدمت حنة حقي ووقفت بجانب ايزا وقالت له :

- إني لا أحب الفتنة وانت تعلم ذلك . إني مخلصه لكم جميعاً . ولا أنقل

أي كلام إلا إذا شعرت بأن واجبي يقتضيني ذلك .

- كنت أقصد معاكسة جدتي بما قلته . وهذا كل ما في الأمر .. وسأقول

ذلك لأبي .

وأوما برأسه لحنة وخرج من الغرفة .  
فنظرت حنة خلفه وقالت لايزا :

فردت ايزا بجمدة :

- إنه يقول كلاماً خطيراً . ولا أحب الخواطر التي تجول بذهنه . ان  
المحوتب يدلله أكثر مما ينبغي .

ثم سألتها فجأة :

- هل يحموز بالدار ؟

- نعم ، قد رأيتَه قادماً منذ حين .

- إذن .. إذهبني وأبلغنيه اني اريد ان أكله .

فخرجت حنة وأخذت تبحث عن يحموز حتى وجدته عند الشرفة فأبلغته

رسالة جدته فخفف اليها رحيماها ، فقالت له :

- ان المحوتب سيأتي قريباً .

- أجل وهذا يسرني .

- هل كل شيء على ما يرام ؟

- نفذت تعليمات ابي بمخادفها قدر إمكاني .

- وما عندك عن ابيي ؟

- ان ابي كثير التسامح معي ، وفي هذا ضرر بالغ له .

- يجب ان توضح ذلك للمحوتب .

فبدأ التردد على يحموز ، لكنها وعدته بأن تؤيده في ذلك

ولم يتكلم يحموز ، بل اكتفى بأن نظر اليها وقد احمر وجهه .

ثم خرج .

- ٣ -

امتألت الدار حركة ، استعداداً لقدم سيدها المحوتب ، وكانت منات  
الارغفة تحبب ، وعشرات البط تحمر ، وفاحت رائحة الكراث والثوم والتوابل  
وكانت النساء يصحن ويصدرن الاوامر ، والخدم يجرون هنا وهناك .. وفي كل

مكان كنت تسمع همهمة تقول :

- السيد . السيد قادم !

وكانت رنزنوب مشغولة بعمل كليل من الخشخاش وأزهار اللوتس وقد  
غمرها شعور بالسعادة

أجل ان أباها عائد الى بيته !

انها في الاسابيع القليلة الاخيرة ، وقد استطاعت ان تنزلق الى حياتها  
القديمة بالدار دون ان تشعر ، وقد ولي عنها احساس الغربة الذي ربما أثارته في  
نفسها كلمات حوري لها .

وقد غنى اليهم ، ان رب الدار سيصل قبل غروب الشمس ، وأمر  
أحد الخدم ، بأن يقف على شاطئ النيل ليحطي إشارة ، حين يرى سفينة

سيده تقترب .

وبفئة ارتفع صوته بالنداء المتفق عليه .

ورمت رنزنوب ما كان في يدها من أزهار ، ثم جرت مع الآخرين صوب

مرسى السفن على شاطئ النهر ، وكان يحموز وسوبك قد سبقا الى هناك ووقفوا وسط جمع من القرويين والصيادين والعمال والزراعيين ، يتفنون ويلوحون بأيديهم .

وكانت هناك سفينة ذات شراع مربع تجري بالنهر مع ربح الشمال وخلفها سفينة المؤونة تحمل رجالاً ونساء .

وتبينت رنزنب على بعد أباهما جالسا وبيده زهرة لوتس والى جانبه امرأة حسبتها مطربة .

وعلى صيحات المنتظرين على الساحل ، ولوح المحوتب محيياً ، وأخذ الملاحون يتأهبون لرسو السفينة . وارتفعت كلمات الترحيب بالسيد ، والحمد للآلهة على سلامته .

وبعد لحظات ، نزل المحوتب الى الشاطئ ، وحيى أفراد أسرته وبقية المستقبلين .

ونظرت رنزنب الى أبيها ، فخيل اليها ان جسمه نحل وانكش ، عما كان عليه .

وقال المحوتب وهو يقبل أبناءه واحداً بعد آخر :

يا عزيزي يحموز ، اني واثق انك كنت نشيطاً في غيابي . وانت يا سوبك يا بني الوسم لا تزال مرح القلب كما أرى . وهذا هو ابي الاعز . دعني أنظر اليك .. لقد نموت وكبرت وصرت أقرب الى الرجولة . وانت يا رنزنب يا بنيتي العزيزة .. لقد عدت الى بيتك . وأنت يا ساتيبي وكيث . انكما ايضاً ابنتان لي . وحنة . حنة المخلصة ..

وكانت حنة راكعة تقبل ركبتيه ، وتمسح دموع الفرح في عينيها بشكل يلفت الانتظار .

فقال لها المحوتب :

— يسرنى ان أراك يا حنة ، هل انت بصحة جيدة ومسرورة ؟ انك على

اخلاصك الدائم لنا . هذا شيء يسر القلب .

ثم التفت الى حوري وقال له :

— وهذا حوري البارح بقله وحساباته . لا شك ان الخير قد زاد ؟

وبعد ان انتهت التحيات وخفت الضجة ، رفع المحوتب يده طالباً السكوت

ثم قال بصوت مرتفع واضح :

— يا أبنائي وبناتي واصدقائي : عندي نبأ لكم .. اني مكثت سنين كما

تعلمون وأنا وحيد من بعض الوجوه ، فإن زوجتي - أمكا يا يحموز وسوبك ،

واختي ، أمك يا ابي ، قد ذهبتا كلتاهما الى أوزيريس منذ سنوات ، ولهذا

جلبت لكما يا ساتيبي ويا كيث ، أختاً جديدة تشارككما في الدار . ها هي

ذي خدينتي نوفريت التي ستحبانها من اجلي . وقد جاءت معي من ممفيس في

الشمال . وستبقى معكما هنا لاسافر ثانية .

ثم أشار الى المرأة التي جاء بها معه .

وقد فوجيء أفراد الامرة بقدمها ، فوقفوا واجمين . فقال المحوتب بلهجة

تدل على شيء من الغيظ :

— تعالوا يا أطفال وحيوا نوفريت . ألا تعرفون كيف تحييون خدينة أبيكم

حين يحضرها الى بيته ؟

فحيهاها الجميع في شيء من التردد وكثير من البرود ، وهذا قال المحوتب

بجماسة مصطنعة تغطي غيظاً مكتوماً :

— هذا حسن . يا نوفريت ، الآن تأخذك ساتيبي وكيث ورنزنب الى جناح

النساء ، أين الحقائق ؟ هل جلبت من الشاطئ ؟

ولما ذهبت النساء نظر المحوتب الى اولاده وقال لهم :

— كيف حال المزرعة ؟ هل سار كل شيء بانتظام ؟

فبدأ يحموز بشرح ما تم قائلًا :

— ان الحقول الجنوبية التي كانت قد اجرت الى نخته ..

ولكن اياه قاطعه قائلاً :

- دع التفاصيل الآن ، يا يحموز ، فإن في امكانها ان تنتظر .  
اما الليلة فلدينا ابتهاج وفرح ، وغداً نشغل ، انا وانت وحموري . تعال  
هنا يا ابي يا ولدي ، وهيا بنا ندخل البيت . لقد طالت قامتك حتى علا  
رأسك رأسي .

ومشى سوبك عابساً وراء ابيه وايبى ، وهمس في اذن يحموز قائلاً :

- حلل ونياب ؟! ألم تسمع ؟ لا شك انه أنفق في ذلك ايراد المزارع التي  
في الشمال ، ايرادنا !

فأجابه يحموز هامساً :

- صدق لا يسمعك !

وجاءت حنة الى غرفة المحوتب تبتمس ، واخذت تعد له حماماً ،  
فقال لها :

- حسناً يا حنة ، وما رأيك في ذوقى واختباري ؟

- انها جميلة بل بارعة الجمال ! ما اجمل شعرها وما ابداع قوامها ! . وماذا  
اقول اكثر من ذلك ؟ ان المرحومة زوجتك قسر في عالمها الآخر لانك اخترت  
مثل هذه الرفيقة الحسنة لتؤنس حياتك .

- اتظنين ذلك يا حنة ؟

فردت على الفور قائلة :

- انى متأكدة مما اقوله يا المحوتب . انك بعد ان حزنت طول هذه السنين  
قد حان الوقت لان تستمتع بالحياة !

- واذا ايضاً حسبت انه قد آن الاوان لان اعيش كما يعيش رجل . لكن ..  
اتظنين ان زوجتي وولدي وابنتي قد ساءن ذلك ؟

- يحسن بين الايستان مما يسرك ! . اليس جميع من في هذه الدار يعتمدون  
عليك في معاشهم ؟

- صدقت يا حنة ، صدقت !

فأنتت كلامها قائلة :

- إنهم يا كلون ويكتسون من خيرك ، وكل ما هم فيه من رغد ورخاء انما  
هو ثمرة جهدك وكذك !

- هذا صحيح ، انى دائماً أعهد فيك الذكاء وسلامة الحكيم على الأمور

يا حنة !

فتأوهت حنة وقالت :

- آه لو ان الآخرين قدروني مثل تقديرك لي !

- ماذا تعنين ؟ هل أساء احد اليك ؟

- انهم لا يقصدون الاساءة ، ولكنهم يفترضون دائماً انى استطيع العمل  
دون انقطاع ، وانى لمسرورة بذلك ، ولكن كلمة محبة او تقدير هي كل ما  
يحتاجه الانسان !

- ثقي انك ستسمعين منى دائماً مثل هذه الكلمة ، ولا تنسى ان هذا

البيت بيتك .

- انك كثير العطف على يا سيدي .

ثم سكنت لحظة وقالت :

- ان العميد مستعدون يا سيدي في الحمام بالماء الساخن .. وبعد ان تستحم

وترتدي ملابسك تطلب امك اليك ان تذهب اليها .

- آه امي ؟ اجل ، اجل بالطبع !

وبدا عليه الارتباك وقال :

- بالطبع كنت انوي ان اذهب اليها لأحبيبها ، ابلاغها انى قادم اليها .

\*\*\*

كانت ايزا مرقدية احسن ثوب كتاني عندها ، وقد وقفت تنظر الى ابنها

باهتمام لا يخلو من سخريه ، وقالت له :

- مرحباً بك يا احوتب اذن قد عدت الينا ، ولم تعد وحدك كما سمعت ؟

فقال احوتب بشيء من الخجل :

- اذن قد سمعت ؟

- طبعاً سمعت ، ان البيت يملؤه طنين هذا النبا . ويقولون ان الفتاة جميلة وانها صغيرة السن .

- انها في التاسعة عشرة من عمرها .. وليست قبيحة المنظر .

فضحكك ايزا بصوت يشبه صوت الدجاج وقالت :

- ليس هناك احمق مثل عجوز احمق !

- لست افهم ما تقصدين يا اماء .

- لقد كنت دائماً احمق يا احوتب !

فبان الكدر في وجهه وقال لها :

- المحسبين ان من الشذوذ ان يجيء رجل بخدينة الى بيته ؟

- ليس هذا امراً شاذاً ، فان الرجال حمقى عادة !

- لست ادري اي حمق في هذا ؟

- انحسب ان وجود هذه الفتاة هنا سيؤدي الى توافر الانسجام في الدار؟

ان ساتيبي وكيت ستثوران وستحرضان زوجيهما !

- وما شأنهما بذلك ؟ واي حق لهما في المعارضة ؟

فهزت رأسها متعسرة وقالت :

- ليس لهما حق مطلقاً !

فأخذ احوتب يذرع ارض الغرفة غاضباً وقال :

- الا يحق لي ان افعل ما اشاء في بيتي ؟ والآن وقد عدت لأنعم بشيء من

السكينة يقال لي ان امامي صعباً حق انت يا اماء تنكربن علي ان تكون

لي خدينة كغيري من الرجال !

لست غاضبة ، ولكني وجدت سبباً للتسلية ، فسيكون في هذا البيت

رياضة شائقة استطيع ان ارقبها ، غير اني اقول لك : انك حين تسافر الى

الشمال مرة اخرى يحسن بك ان تأخذ خدينتك معك !

- ان مكانها هنا في بيتي ! والويل لمن يسيء اليها !

- ان الأمر لا يتعلق باساءة المعاملة . ولكن تذكر ان من السهل ان تشعل

ناراً في هشم جاف ، ان المرأة شيء نافع وكأنها حلم من الأحلام ثم يأتي الموت

في النهاية !

\*\*\*

استمع احوتب صامتاً الى سوبك وهو يشرح ما تم في صفقة الخشب ، وما

لبث احوتب ان قاطعه وقال له بعدة :

- نعم .. نعم ، لقد حسبت نفسك تصرف خيراً مما اعرف فمخالفت

تعليماتي .. ان الامر هكذا دائماً ، الا ان اكون هنا لأصرف بنفسي على كل

شيء ، اني لا اتصور ماذا تصيرون اليه دوني !

وهنا قال سوبك في عناد :

- لقد لاح لي انه في الامكان جني ربح اكبر ، ولذا جازفت . ان الانسان

لا يمكن ان يكون دائماً حذراً حريصاً .

- ليس لديك شيء من العذر ، واذك دائماً متمور طائش معي التقدير !

- وهل تترك لي أية فرصة لأمتحن فيها تقديري ؟

- لقد تصرفت هذه المرة ضد اوامري الصريحة .

- اوامرك ؟ أعلي أن اتلقى اوامر الى الأبد ؟ اني رجل ولست بطفل !

فتقدم منه احوتب وهو يتميز من الغيظ وصاح به قائلاً :

انها الولد الوقح . اتقول ذلك لأبيك ؟ خذ حذرك والا طردتك من بيتي ؟

- وإذا لم تأخذ أنت حذرك فساغادر أنا بيتك ، ان بذهني آراء جديدة  
بأن تجلب الثروة لولا إني مقيد بالحذر والحرص ولا يسمح لي بحرية التصرف !  
فسكت أحموتب هنيهة ثم سأله :

- هل انتهيت ؟

- أجل . ليس عندي ما أقوله ..

- إذن .. إذهب واطعم الماشية فليس هذا وقت الكسل .

فخرج سوبك غاضباً ومضى في سبيله .

وعندئذ تقدمت نوفريت بخطى بطيئة إلى أحموتب ، وكان واقفاً يحاسب  
ولده الآخر يحموز ويقول له :

- ما الذي دهاك حق تركت سوبك يتصرف هكذا؟ كان يجب عليك أن  
تمنعه . ألا تعلم انه سيء التصرف في البيع والشراء ؟ إنه يتوهم إن الأمور  
تجري كما يتمنى أن تجري ..

فقال يحموز معتذراً :

- إنك يا أبي لا تدري الصعاب التي القاهما ، لقد أمرتني بأن أعهد إلى  
سوبك في مهمة بيع الخشب ، فكان لزاماً علي أن أتركها له ليفعل فيهما  
ما يراه ..

- وهل له رأي ؟ إن عليه أن يفعل ما أمره به ، وعليك أنت أن  
تتذبه لذلك .

فاحمر وجه يحموز وقال :

- أنا؟ وما هو سلطاني عليه

- أي سلطان ؟ إنه السلطان الذي أعهد فيه اليك .

- ليس لي مركز حقيقي ، لو إني كنت شريكك قانوناً ..

وسكت إذ رأى نوفريت قادمة اليهما ، ثم قالت لأحموتب :

- ألا تأتي إلى الايوان الصغير بقرب البحيرة ؟ ان الجو رائع هناك ، وقد

أعدت لنا فاكهة وشراب ، لا شك إنك قد انتهيت من إعطاه أوامرك !

- سأتي بعد لحظة يا نوفريت !

- تعال الآن ، أريد منك أن تأتي الان !

فبدا عليه السرور والتجمل ممأ .. وقال يحموز بسرعة قبل أن يدع لأبيه

فرصة للكلام :

- أريد أن اكلمك أولاً .. في أمر هام .. أريد أن أطلب اليك ..

فأدارت نوفريت ظهرها ليحموز وقالت لأحموتب :

- الا تقدر ان تفعل ما تشاء في بيتك ؟

وعندئذ قال ليحموز بحدة :

- كلمني في فرصة اخرى !

ثم تركه وخرج مع نوفريت .

فوقف يحموز ينظر اليهما وقد جمد في مكانه من الشرفة .

وما لبثت ساتيبي أن اقبلت اليه من داخل الدار فسألته باهتمام :

- هل كلمت أباك ؟ وبماذا أجاب ؟

- لا تكوفي قليلة الصبر يا ساتيبي ، إن الظرف لم يكن مناسباً .

فصاحت به قائلة :

- هذا ما تقوله أنت ! وهذا ما سوف تقوله دائماً ! ولكن الحقيقة انك

تهاب أباك ، ألم تعدني بأن تكلمه في أول يوم يمود فيه . ولكن ماذا حدث ؟

وسكنت من فرط الجهد ، فقال لها يحموز بهدوء :

- إنك مخطئة يا ساتيبي ، لقد شرعت اكلمه ولكننا قوطعنا .

فصاحت مندهشة :

- قوطعنا ؟ ومن ذا الذي قاطعنا ؟

فتمتم قائلاً : نوفريت !

وهنا قالت ساتيبي :

- نوفريرت ؟ تلك المرأة ؟ ان اباك ما كان يخاق به ان يترك خدينته تقاطعه  
حين يتحدث في شأن أعماله مع ولده الأكبر ، ان النساء لا يصح ان يتدخلن  
في الأعمال !

ولعل يحموز كان يتمنى في قرارة نفسه لو تعمل ساتيبي وفق كلتها  
هذه .. واكنها لم تترك له فرصة للكلام ، واستطردت تقول :

- كان ينبغي لأبيك ان يوضح لها ذلك دون ابطاء .

- ان أبي لم يبد عليه انه استاء من مقاطعتها لنا .

- ان هذا امر شائن ! ان هذه المرأة قد سحرتة ، وهو يتركها تقول

وتفعل ما تشاء ..

وكان كلامها ينبيه عن معنى خفي ، ثم قالت :

- ان اباك ان يكون هنا دائماً .. ولن يلبث حتى يسافر ثانية الى املاكه

في الشمال ، وعندئذ سنرى !

ثم ضحككت ساتيبي ضحكة عالية جافة وتركت زوجها عائداً من

حيث أنت ..

\*\*\*

كان الأطفال كهادتهم يحرون ويلعبون عند البحيرة .. وكان احوتب جالساً  
يحتسي الجمرة بجانبه نوفريرت ، ونظر الى الأطفال ثم قال :

- ان الأطفال مولعون باللعب على حافة البحيرة ، ولكن ما اشد ضجيجهم

- أجل وقد كان ممكناً أن يشمل السكون هذه البقعة ! على انه حيث

يجلس رب الدار ملتصقاً الهدوء يجب أن يقابل بالاحترام اللائق !

وكانت هذه فكرة جديدة لم يعرفها قبلاً ، فقال بتردد :

- إني في الحقيقة لا أبالي ضجيجهم ، وهم قد اعتادوا اللعب هنا

- حين تكون بعيداً من هنا لا ضير من ان يلعبوا ، غير انه حيال ما تبدله  
لأمرتك يجب ان تلقى منها قدر أكبر من الاحترام .  
- انك شديدة الرعاية يا نوفريرت . أجل أنت حقاً فتاة طيبة لا تفكرين إلا  
في راحتي .

- إن ما يسرك يسرني .

ثم توجهت الى كيت قائلة لها يجفء :

- اخذي الأطفال بعيداً يا هذه !

فنظرت اليها دون ان تدرك ما قالته لها وسألتها :

- بعيداً ؟ ماذا تعنين ؟ . إنهم يلعبون هنا دائماً .

- إن احوتب يريد السكون ، وهؤلاء الأطفال يحدثون ضوضاء .

- إحدري ما تقولين يا نوفريرت ! ان احوتب يفرح برؤية أحفاده يلعبون

هنا ، وقد صرح بذلك .

- ليس اليوم ! . إنه قد بعثني اليك لأبلغك رغبته في ان تدخلني هذه الذرية

الصاخبة إلى الدار فإنه يريد ان يجلس معي في هدوء !

فتمتمت كيت قائلة :

- معك ؟

ثم مضت من فورها إلى احوتب قائلة له :

- إن خدينتك تزعم أن علي ان آخذ الأطفال إلى داخل البيت . لماذا ؟

وما هو الخطأ الذي أتوه ؟ . ولماذا يبعدون من مكان لعبهم ؟

فردت نوفريرت بصوت ناعم :

- حسبت ان رغبة سيد الدار كافية وإنما لا تناقش !

فانتهز احوتب هذه الفرصة وقال :

- صدقت ! لماذا ينبغي لي ان أبدي أسباباً ؟ لمن هذه الدار ؟

فأخذت كيت تصعد بصرها في نوفريرت قائلة :

- أحسبها هي التي أرادت إبعادهم !  
- إن نوفريرت تفكر في راحتي .. ومتمني . لا أحد غيرها في هذه الدار  
براعي ذلك . اللهم إلا حنة المسكينة !  
فسألته كيت :

- إذن . لا يصح أن يلعب الأطفال هنا بعد اليوم ؟  
- نعم .. حين أكون هنا لأستريح .

فلم تقدر كيت ان تكبج جماع غضبها وصاحت به قائلة :  
- لماذا تدع هذه المرأة تفضك فيمن هم من لحمك ودمك ؟  
ففضب وصاح بها قائلاً :

- إني أنا الذي يقرر ما يفرض ان يعمل هنا ، لا أنت !  
وقفت كيت لحظة بلا حراك ، ثم ردت بصوت خلا من كل عاطفة :  
- سأخذ الأطفال الى داخل المنزل .

وسارت خطوة او خطوتين ، حتى إذا صارت أمام نوفريرت قالت  
لها همساً :

- هذا كله من فعالك . لن أنسى . كلا لن أنسى !

- ٤ -

تنفس أحموتب الصعداء إذ انتهى من أدعيته وصلواته ، وقام بصب السوائل  
وحرق البخور وتوزيع الصدقات ، وكل ما يوجهه عليه مركز كاهن المقبرة ،  
وضميره الحي من جميع الوجوه .

وما لبث أن عاد إلى الغرفة المجاورة للمقبرة ، حيث كانت حوري  
ينتظره ، وأخذها يبحثان شؤون الزراعة ، والحاصلات والماشية والأخشاب  
وأرباحها .

وبعد نحو نصف ساعة أو ما أحموتب برأسه مرصاً وقال لحوري :

- إنك بارع في الأعمال يا حوري .

فابتسم هذا وقال له :

- ذلك لأنني قضيت عدة سنوات وكبلاً لأعمالك .

- وانك لو كبل أمين . والآن أريد أن أبحث معك أمراً آخر : فإن أبي  
يشكو من ضالة مركزه وتبعيته لأخيه الأكبر .

- إنه لا يزال صغير السن .

- ولكنه يبدي مقدرة فائقة وهو يشمر بأن أخويه لا ينصفانه .  
والظاهر ان سوبك يمامله بعنف ، وإن ما يتخذة يحموز من حيلة وحذر  
بضايقه . وهو لا يريد ان يتلقى أوامر إلا مني أنا وحدي بحسباني أباه ، ولي



عليه هذا الحق .

- هذا صحيح ، وقد لفت نظري ان هذه نقطة ضعف هنا في المزرعة .  
أتسمح لي ان أتكلم في صراحة ؟  
- تكلم كما شئت ! .

- إنك حين تسافر ، يجب ان تترك خليفة لك ، مزوداً بسلطة حقيقية .

فقال محوتب :

- الست أعهد في أعمالي اليك والى يحموز ؟  
- أجل اننا نتوب عنك في غيابك ، ولكن هذا لا يكفي . لماذا لا تعين أحد أولادك شريكاً لك بمعد شرعي ؟

فمعد محوتب حاجبيه ، وأخذ يذرع أرض الغرفة ذهاباً وجيئة .  
ثم قال :

- وأي أبنائي ترشحه لذلك ؟ . إن سوبك مستبد برأيه ولا يخضع لرأيي  
ولست أتق بسلامة حكمه في كل الأمور .  
- إن يحموز أكبر ابنائك ، وهو لطيف وديع ومخلص .

- أجل ، ولكنه هيب مستلم ، يوافق كل إنسان على رأيه . لو كان  
أبي أكبر سنًا .

- من الخطر ان تضع السلطة في يد فق حدث ؟  
- صدقت ، صدقت يا حوري . سأفكر فيما قلته لي . إن يحموز ابن  
طيب حقاً . ابن مطيع .

- إني موقن انك ستصرف بحكمة .

ثم تارة الاب وقال :

- إن حكم أميرة لمهمة شاقة . والنساء خاصة تصعب سياستهن ، فإن ساتيني  
حادة الطباع وكيت دائمة العبوس . ولكني قد بينت لهما ان نوفررت يجب ان

تلقى المعاملة اللائقة ، وأحسب انه يمكن القول .

ثم أمسك ولم يتم كلامه إذ جاء في هذه اللحظة خادم رقيق ، ووقف يلهث  
تعباً من صعود الدرب المرتفع وقال :

- سيدي . . لقد وصلت سفينة بها كاتب يدعى كامني ، ومعه رسالة  
من مفيص .

فقام محوتب وقال :

- مشاكل جديدة ولا بد ! . إذا لم أكن حاضراً بنفسي الإشراف على كل  
شيء فإن الأمور كلها تضطرب !

\* \* \*

كانت رنزناب تقربض على شاطئ النيل ، واذا بها تسمع هرجاً وصياحاً  
وترى أناساً يبحرون الى مرسى السفن ، فأسرعت لترى ما هنالك ،  
ومرغان ما أبصرت سفينة وقف بها شاب ما ان رآته وتبينت طلعتته حتى  
كاد قلبها يقف عن الخفقان ، فقد خيل اليها انه ( خاي ) قد عاد اليها من عالم  
الاموات . ولكنها ما لبثت ان سخرت من نفسها ، ولا سيما بعد ان اقترب  
الشاب فإذا هو في مثل قوامه ولكنه أصغر منه سنًا ، وله وجهه وسم  
وثغر ضاحك .

ثم سمعته يذكر لمستقبله انه قادم من أملاك أبيها في الشمال ، وانه كاتب  
هناك واسمه كامني

فبعثوا الى محوتب عبداً ينيئه بذلك ، واقتيد الكاتب الشاب الى داخل  
المنزل حيث قدم له طعام وشراب ، وسرعان ما جاء الاب وانهمك معه في  
حديث طويل .

ولم تهتم رنزناب كثيراً بهذا ، ولكنها قدرت براعة كامني في كشف ذلك

التلاعب ، ولم تشك في ان أباهما سيصدر هذه البراعة أيضاً . ثم ما لبثت أن  
شغلت بما تلا ذلك من اصدار أبيهما أمره باعداد معدات سفره دون ابطاء ، مع  
انه كان قد اعتزم ألا يسافر قبل شهرين !

ودعا الاب كل من في البيت وأخذ يصدر الاوامر بما يفرض ان يعمل ، ثم  
فصل ليحموز ما عليه فعمله وما عليه تركه ، وأوصى سوبك بأن يتخذ غاية  
الحبطة في أمور أخرى ذكرها له .

وكان ذلك كله أمراً مأوفاً لرزنب ، وقد لحظت ان يحموز شديد  
الإصغاء الى أوامر أبيه ونواهيه ، وان سوبك عابس كهادته ، وان  
حوري هادى مطمئن أما ابي فان أباه رفض مطالبه بحدة غير معتادة ،  
وقال له :

- انك أصغر سنًا من ان يحدد لك مرتب خاص ، وعليك ان تطيع يحموز  
فانه يعرف رغباتي وأوامري .

ثم وضع يده على كتف ابنه الاكبر وقال له :

- اني أتق بك يا يحموز ، وحين ارجع من سفري سنتكلم معاً في مسألة  
الشركة .

فاحمر وجه يحموز من السرور ، ورفع قامته أكثر من قبل ..  
ثم قال :

- ان كل شيء سيجري وفق مشيئتك .. غير ان حنة أحياناً تشير  
فتنة بلسانها ..

- هذا هراء فان كل النساء كذلك ، وأما كامني فانه سيبقى هنا وسيساعد  
حوري . وأما تلك الارض التي اجرناها الى المرأة يا أبي ..

ومضى في حديثه فلم يغادر كبيرة ولا صغيرة من شؤون الاعمال المطلوبة في  
غيبته الا بسط رأيه فيها وتعليماته بشأنها ولما حانت ساعة الرحيل شعر الاب  
بألم في احشائه وانتمى بنوفريت فاحية وقال لها :

- أنت مرطحة إلى البقاء هنا ؟ اليس الأفضل لك أن تصحبي في  
سفري ؟

فهمزت بنوفريت رأسها وابتسمت قائلة :

- لن تغيب عني طويلاً ..

- قد أغيب ثلاثة أشهر ، وربما أربعة ، من بدري ؟

- سأصبر حتى تعود ، وسأكون مرطحة هنا .

- لقد أوصيت أبنائي جميعاً بأن تحاطي بكل رعاية ، وعلى رؤوسهم تبعه

مثار لشكواك .

- إني موقنة بأنهم سيفعلون ما أمرتهم به .

ثم سكتت لحظة وسألته :

- من هو الجدير بثقتك هنا من غير أفراد الأسرة ؟

- حوري . إنه يدي اليمنى ، وهو ذكي حكيم .

- لكنه هو ويحموز بمثابة أخوين .. وربما ..

- إن كامني سيبقى هنا أيضاً وسأمره بأن يضع نفسه في خدمتك ، وإذا

وجدت ما تشكين منه فاخبريه ليكتب إلي بشكواك .

هذه فكرة صائبة ، إن كامني قد جاء من الشمال ، وهو يعرف أبي ..

ثم قال لها أمحوتب :

- وهناك حنة أيضاً ..

فقطمت كلامه قائلة :

- آه .. حنة ؟ ألا تدعوها لتكلمها في ذلك أمامي الآن ؟

فأوما برأسه موافقاً وقال :

هذه فكرة صائبة .

ثم أرسل في طلب حنة فجاءت مهرولة وهي تغالي في إبداء الأسف لسفره

فقاطعها قائلاً :

- أجل ، أجل ، ولكن لا بد من السفر فإنه مقدر علي ألا القى راحة ولا استقرار .. إنك شديدة الاخلاص صادقة الولاء لي يا حنة ، ولهذا أعهد اليك في حراسة نوفريرت أثناء غيابي ، إنها جد عزيزة علي .

- إن من يكون عزيزاً عليك لا بد أن يكون عزيزاً علي أيضاً .

- حسناً ، إذن عليك أن تخلصي لها الخدمة .

فالتفت حنة إلى نوفريرت وقالت لها :

- إنك رائعة الجمال يا نوفريرت ، وهذا أصل المتاعب ، فإن نساء الدار يشعرون بالغيرة منك ، ولكنني سأعتني بك وسأنبئك بكل ما يقال وما يعمل ويمكنك أن تعتمد علي !

فابتسمت نوفريرت قائلة :

- إني أفهمك يا حنة ، وأحسبني أقدر أن أعتمد عليك !

فقال أحوتب :

- إذن قد رتب كل شيء .. أجل إن كل شيء علي ما يرام ، ان التنظيم

سر القوة والنجاح ..

\*\*\*

اعتادت رنزنبا ان تصعد إلى المقبرة في أكثر الأيام ، وكانت أحياناً نجد هناك يحموز وهورى معاً ، وأحياناً نجد حورى وحده ، غير أنها كانت تشمر هناك دائماً بشعور الراحة والطمأنينة ، وكان يسرها أن تلقى حورى لارتياحها إلى هدوئه ورزاقته ، وكانت تجلس في ظل باب العرفة الصخرية ، رافعة إحدى ركبتيها بين يديها وتنظر إلى الوادي الأخضر يجري وسطه النيل متدفق الماء ساطعاً في ضوء الشمس .

وقد قالت لهورى يوماً .

- انى خائفة ..

- مم تخافين يا رنزنبا ؟

فسكتت لحظة ، ثم قالت :

- أتذكر يوم قلت لي أن هناك شراً ظاهراً يأتي من الخارج وشراً خفياً

ينبعث من الداخل ؟

- أجل أذكر ..

لقد حسبتك يومئذ تعني الآفات التي تصيب النباتات ، ولكنى أرى الآن

ان قولك هذا ينطبق على الانسان أيضاً .

- هل أدركت ذلك ؟ أجل لقد أصبت يا رنزنبا .

- إن ما قلته حدث الآن .. في بيتنا هناك .. فقد جاء شر من الخارج

وأنا أعرف من جلبي ، انها نوفريرت !

- أتظنين ذلك ؟

- أجل ، انى أعرف ما أقوله ، استمع الي يا حورى ، حين جئت اليك هنا

وقلت لك ان كل شيء كما كان في الماضي ، أما الآن فقد تغيرت الحال ، ومما

تتبادلان الفاظاً مؤذية ، وكل منهما يسرها أن تجد كلامها قد أصاب الهدف

وآذى الأخرى ، ان هذا فظييع يا حورى .

- انى أعلم بحدوث هذه الأمور ، ولكن لماذا تلقين اللوم على نوفريرت ؟

- لأن كل ذلك من صنعها ، فإنها تقول بضع كلمات ماكرة خبيثة فتشمل

بها نار الشجار . وهي بارعة في اختيار ما تقوله ، وأحياناً أقدر ان حنة هي

التي تخبرها .

- أجل ، وأنا أيضاً أظن ذلك .

- انى لا احب حنة ، فانى اكره طريقةتها في التجسس هنا وهناك ، إنها

تخلص لنا جميعاً ، ولكننا نبغضها جميعاً .

- ما أعجبك من طفلة رتزنوب ؟  
ثم قطع كلامه فجأة وقال :  
- ما هي ذي نوفريرت مقبلة .

ونظرت رتزنوب ، وأخذ الاثنان يرقبان نوفريرت وهي تصعد الدرب المنحدر الموصل إلى المقبرة ، ولما بلغت مكانها ابتسمت ابتسامة ماسكرة وقالت لرتزنوب :

- إذن هذا هو المكان الذي تنسلين اليه كل يوم يا رتزنوب ؟  
فلم تجب رتزنوب ، وشعرت بمثل شعور الطفل الذي يغضب حين يكشف أحد مخبأه .

ثم نظرت نوفريرت حولها وقالت :  
- أهذه هي المقبرة الشهيرة ؟

فأجاب حوري قائلاً :  
- أجل يا نوفريرت .

فنظرت اليه وقالت له وهي تبتسم بخبث :

- لا شك في انك تجدها مربحة .. وأنت رجل أعمال بارع ،  
كما سمعت .

- إنها مربحة لنا جميعاً ، فإن الموت دائماً مصدر ربح .

وشعرت نوفريرت برجفة إذ أبصرت موائد الصدقات ومدخل القبر والباب الكاذب الذي لا يولج وقالت :

- إني أكره الموت !  
فقال حوري يهدوه :

- لا ينبغي لك ذلك ، فإن الموت هو المصدر الرئيسي للثروة في مصر . إن الموت هو الذي اشترى لك الجواهر التي تزينين بها يا نوفريرت . والموت هو الذي يطعمك ويكسوك !

فنظرت اليه ملياً وقالت :  
- ماذا تعني بذلك ؟

- أعني ان المحوتب كاهن هذه المقبرة ، وكل ما يملك من أراض وماشية وخشب وكتان وشعير ، إنما هو هبة من قبر !

وسكتت برهة ثم استطرد قائلاً :

- إننا نحن المصريين قوم عجيبون .. إننا نعشق الحياة ولذا نشرع مبكرين في التحضير للموت ، وفيه تنفق ثروة البلاد . في تشييد الأهرام والمقابر وصرف هبات القبور !

فقالت نوفريرت بعنف :

- دع حديث الموت يا حوري ، إني لا أطيق سماعه !

- لأنك مصرية صميمة ، فأنت تحبين الحياة .. لأنك تشمرين أحياناً بظلم الموت قريباً منك !

فأسكتته نوفريرت بإشارة من يدها ، ثم خرجت من الغرفة ومضت هابطة الدرب .

فقالت له رتزنوب :

- يسرني انها ذهبت . لقد أخفتها يا حوري .

- نعم .. وهل أخفتك أيضاً ؟

- كلا ! إن ما قلته صحيح ، غير اني لم أكن قد فكرت في الأمر من هذه الوجهة . إن أبي حقاً كاهن مقبرة !

ونظرت اليه نظرة حائرة . وما لبثت ان لفت نظرها شيء آخر ،  
فقالت له :

- أنظر ! إن نوفريرت هناك تتحدث مع سوبك .. إنها تضحك آه ..  
كلا . لا شيء . لقد حسبت ان سوبك سيضربها . ولكنها تدخل البيت الآن وسوبك قادم إلى هنا !

وجاء سوبك قائراً يقول :

- ليت تمساحاً يلتهم هذه المرأة ! إن أبي لا شك قد جن إذا اتخذها خدينة له !

فسأله حوري :

- ماذا أخبرتك نوفريت ؟

فلم يجب سوبك ، وأخذ يمشي جيئة وذهاباً فوق المصطبة ، ثم تناول قطعة صخر وقذف بها إلى الوادي ، وكأنا سره صوت ارتطامها بالأرض ، فتناول قطعة أكبر ، وإذا به يرى أفعى كبيرة تخرج من تحتها وترفع رأسها ويسمع لها فصيح .

فتناول سوبك هراوة وأخذ يضربها بعنف ، واستمر يضربها وعيناه تكادان تقدحان بالشرر !

فصاحت به رنزنب قائلة :

- كفى يا سوبك . كفى ! إنها ماتت !

فتوقف عن الضرب وقال ضاحكاً :

- لقد نقص عدد الأفاعي السامة في العالم واحدة .

وضحك ثانية .. وكأنا سره ما فعل ، وعاه من حيث أتى ، هابطاً الدرب .

فقال رنزنب لحوري بصوت ضعيف :

- يخيل لي ان سوبك هو القتل !

- نعم .

- إن الأفاعي خطيرة . ولكن ما كان أجل هذه الأفعى !

ثم نظرت الى الأفعى الميتة وشمرت برجفة .

وحين عادت رنزنب الى المنزل وجدت كامني جالساً في الشرفة الأرضية وأمامه لفة من ورق البردي ، وكان يغني فوقفت تستمع .

ثم احمر وجهها ، ودخلت المنزل مسرعة حتى كادت تصطدم بنوفريت .  
فقال لها هذه :

- لماذا تسرعين هكذا يا رنزنب ؟

وكان صوت نوفريت حاداً قاسياً . فنظرت اليها رنزنب متعجبة ورأتها لا تبسم كعادتها ، بل يبدو عليها الجذ والصرامة ويدها منقبضتان إلى جانبيها ، فقالت لها :

- إني آسفة ، يا نوفريت ، فلاني لم أرك . والقادم من الخارج يجد هنا عتمة .

- أجل ، هنا عتمة . وفي الخارج ضوء وسرور ، لا سيما إذا كان كامني يغني وانت تصغين . إنه يجيد الغناء .. اليس كذلك ؟  
- نعم .

- لماذا لم تمكثي لتسمعي . هل هذا يسوء كامني ؟

فسكنت رنزنب وقد شعرت بالغيظ والقلق . وعادت نوفريت تسألها :

- ألا تحبين أغاني الحب يا رنزنب ؟

- وماذا يعنيك من أمر ما أحب وما أكره ؟

فنظرت اليها نوفريت بخبت وردت :

- إذن .. فالقطط الصغيرة لها أظافر ؟

ولما سألتها تعنيه بذلك ، ضحكت ساخرة وقالت :

- أعني انك لست بلهاء كما يبدو عليك . وإذن انت تحبين كامني وسيماً ،

ولا شك في أن هذا يسره على كل حال .

فعدجتها رنزنب بنظرة إزدراء قائلة .

- حقاً .. انك بغيضة !

وتركتها ودخلت إلى جناح النساء في مؤخرة الدار ، بينما ضحكات نوفريت تلاحقها ، ويتخللها صوت كامني وهو ما زال يذشد أغنيته .

وفي تلك الليلة رأت رنزنب فيما يرى النائم كأنها مع خاي في زورق  
الأموات في العالم الآخر . وكان خاي واقفاً في مقدمة الزورق وهي لا ترى إلا  
مؤخرة رأسه .

ولما اقتربا من مطلع الشمس أدار رأسه فرأت انه ليس خاي لكنه كامفي .  
وفي الوقت نفسه بدأت مقدمة السفينة ، وهي على هيئة رأس أفعى ، تضطرب .  
ثم إذا بها أفعى حية من نوع الكوبرا .  
فقالته تحدث نفسها :

- إنها الأفعى التي تخرج من المقابر لتلتهم أرواح الموتى .

وتولاها الخوف حتى شل حركتها ، ثم لحظت ان وجه الأفعى هو وجه  
نوفريت ، فاستيقظت من نومها تصيح قائلة :  
- نوفريت ! نوفريت !

ولما رأت ان ذلك كله كان حلاً ، بقيت ساكنة في فراشها وقلبيها  
يدق دقاً عنيفاً ، وعبثاً حاولت ان تقنع نفسها بأن ذلك الحلم لا صلة له  
بالحقيقة ، ثم تذكرت فجأة ان سوبك وهو يقتل الأفعى ، كان يلفظ  
اسم نوفريت !

- 0 -

لم تعد رنزنب تستطيع النوم الا لما بعد تلك الرؤيا ، وحينما  
اقترب الفجر ، وهي تتقلب مسهدة في فراشها ، تولاها شعور الخوف من  
شر محقق .

فنهضت وارتدت ثيابها ، ثم خرجت من المنزل مبكرة ، فقادت خطاها الى  
شاطئ النيل كما اعتادت في الأيام الأخيرة .

وهناك شعرت رنزنب بشعور غريب لا تدري كنهه ، وشعرت بحاجتها الى  
شيء تجهله .

ثم رأت على الشاطئ شخصاً واقفاً لا يتحرك ، لكنه يرقب الزورق القاصد  
الى طيبة في اهتمام ملحوظ ، ومالبت ان رأت ان هذا الشخص ليس  
سوى نوفريت .

فحنت رنزنب خطاها حتى بلغت مكانها فوقفت الى جانبها ، فالتفتت  
نوفريت اليها لحظة ، ثم عادت تنظر الى النيل ، ووجهها جامد لا يعبر عن  
أية عاطفة .

فقالته لها رنزنب في خجل ظاهر :

- ان بالنهر سفناً كثيرة .

فلم تزد نوفريت على أن ردت :

- نعم .

ثم عادت الى ما كانت فيه من النظر الى النيل .

فسألتها رنزنوب :

- هل النيل هكذا في منطقتكم بالشمال ؟

فضحكت نوفريرت ضحكة قصيرة مرة وردت قائلة :

- كلا ! ان أبي تاجر في ممفيس . وهي مدينة مريحة فيها موسيقى وغناء ورقص ، وأبي كثير الأسفار وقد سافرت معه الى سوريا وابلونيا ، وركبت معه السفن الكبيرة في عرض البحار !

- لا بد في ان الحياة هنا مضجرة لك !

وتذكرت رنزنوب ما قالته لحوري بالأمس عن نوفريرت من انها جميلة قاسية شريرة ، وأدركت في هذه اللحظة معنى قوله لها على أمر ذلك : « انت طفلة يا رنزنوب ، فلا بد انه كان يعني ان ما قالته عن نوفريرت ليس سوى هراء ، لأن الحكم على الناس لا يكون بهذه السهولة !

ثم نظرت اليها وقالت لها في خجل كخجل الأطفال :

- انك تكرهيننا جميعاً . وأنا أعرف السبب .. اننا لم نبد نحوك شيئاً من العطف . لكن الوقت لم يفت بعد .. ولعل من الممكن ان نكون ، أنا وأنت ، بمثابة أختين .. انك بعيدة عن كل من تعرفينهم ووحيدة هنا .. افلا يمكنك ان تساعدك ؟

- اذهبي عني بعيداً . لا أريد شيئاً من أي أحد منكم ، انكم حمقى بلهاء .. هكذا أنتم جميعاً بلا استثناء !

ثم انشنت راجعة صوب الدار .

وحينما ولجت نوفريرت بوابة الدار وأخذت تمبر صحنها ، اندفعت طفلة من أطفال كيت تجري وراء كرة ، فدفعتها نوفريرت دفعة قوية بعيداً من طريقها ، فقدمت الفتاة تبكي وتصرخ ، وعندئذ جرت نحوها رنزنوب وقالت لنوفريرت

بغضب :

- لا يليق بك ان تفعل ذلك يا نوفريرت ! أنظري فقد جرحت الطفلة

في ذقنها !

- أيجب ان أحذر كيلا أؤذي هؤلاء الأطفال المفسدين ؟ . ولماذا ؟ . هل

تراعي أمهاتهم احسامي ؟

وجاءت كيت من داخل الدار مهرولة ، اذ سمعت صراخ ابنتها ، وجرت اليها وجعلت تفحص الجرح الذي بذقنها ، ثم نظرت الى نوفريرت وصاحت بها قائلة :

- أنت ابنتها الشيطانة ! . أيتها الأفعى ! . أيتها الشريرة ! . انتظري فسترين

ما نفعه بك .

ثم لطمتها على وجهها بكل قوتها فسارعت رنزنوب وأمسكت بذراعها حتى لا تكرر اللطمة قائلة لها :

- لا يصح ان تفعل ذلك يا كيت !

- من ذا الذي يمنعني ؟ دعيتها تحذر . انها واحدة بين جماعة !

فوقفت نوفريرت ساكنة ، وكان أثر اللطمة بادياً على خدها أحمر قانياً ، فإن كيت كان بمعصمها سوار ، فجرح الجلد وسال الدم على وجه نوفريرت .

على ان التعبير الذي بدا على وجه نوفريرت هو الذي حير رنزنوب بل أخافها فانها لم تبد أي كدر بل على العكس كان لعينيها بريق الانتصار وافتر ثفرها عن ابتسامة ماكرة وقالت لكيت :

- أشكرك يا كيت !

ثم دخلت الدار !

\*\*\*

جاءت حنث ملبية نداء نوفريرت ، وما ان رأت الجرح الذي بوجهها حتى اخذت تبدي عجبها .. ولكن نوفريرت قاطعتها قائلة :

- نادي كامني ، وقولي له يحضر اقلامه وحبراً وورقاً من السبردي ، فان عليه ان يكتب خطاباً الى السيد ..

وكانت حنث لا تحيد ببصرها عن الجرح الذي يخد نوفريرت قائلة :

- الى السيد ؟ نعم ، لقد فهمت !

ثم سألتها :

- من الذي فعل هذا ؟

فابتسمت نوفريرت وقالت في هدوء :

- كيت !

.. هذا شيء فظييع جداً ! نعم يجب ان يعلم السيد .. لا بد من انباء

احوتب !

- انك تفكرين مثل تفكيري يا حنث ، وانا ايضاً ارى واجباً ان

نخبره !

ثم اخرجت من طرف ثوبها حلية من الذهب المرصع بالجمشت ( حجر كريم

ازرق ) ووضعتها في يد حنث قائلة لها :

- انا وانت نرعى صالح احوتب باخلاص !

- هذا كثير يا سيدتي ، انك كثيرة السخاء ، ما ابداع هذه الحلية !

فابتسمت قائلة لها :

- نادي كامني ، وتمالي معه ، فإنك انت وهو ، ستشهدان بما حدث

وبعد لحظة جاء كامني متردد الخطى ، متجمد الجبين ، فقالت له

نوفريرت بلمهجة الامر :

- انذرك تعليقات احوتب قبل سفره ؟

- نعم ..

- لقد حان وقت تنفيذها ! اجلس واكتب ما اقوله لك

ولما بان عليه التردد قالت له بلمهجة حازمة :

- ان ما ستكتبه هو ما رأيت به بعينيك وسمعته بأذنيك ، وحنث

ستؤيد ما اقوله ، ويجب ان يحاط ارسال الخطاب بالكتابة وان يرسل في

اسرع وقت .

- اني لا احب ان ..

فقاطعتها قائلة :

- ليدت لي شكوى من رنزن ، انها رقيقة ضميعة حمقاء ، ولكنها لم

تسيء الي أهذا يرضيك ؟

فاحمر وجهه البرونزي وقال

- لقد كنت افكر .

لكنها قطعت كلامه مرة اخرى قائلة باللمهجة الحازمة نفسها :

- هيا نفذ التعليمات واكتب ما امليه عليك ؟

فبقي هنيئة ينظر اليها غاضباً ، ثم ما لبثت ان حنى رأسه ، وقال :

- سأكتب ما تشائين ، ولكنني اعتقد .. اجل اعتقد انك ستندمين !

- اتوعدني يا كامني .

- كلا ! ولكنني احذرك !



مرت الأيام تباعاً ورنزن تشمر كأنها تعيش في حلم ، ولم تعد تنقرب الى

نوفريرت ، بل صارت تخشاها وترى فيها أشياء لا تفهمها .

وكانت نوفريرت بعد ذلك الحادث الذي لطمتها فيه كيت قد تغيرت كثيراً

فبان عليها رضا وسرور لم تدرك رنزن كنهها .. وصارت تحسب ان ما



ظننته من بؤسها وشقاها كان وهماً من الأوهام ، فانها تبدو على العكس راضية عن نفسها وحياتها .

وفي الوقت نفسه لم تعد تعنى بأن تبذر بذور الشقاق بين افراد الأسرة كما كان شأنها عقب سفر المحوتب ، فاتحد افراد الأسرة ضدها .

وفي الوقت نفسه وقعت حوادث طفيفة غير مألوفة ، فقد احرق ثوب كتاني لنوفريت بمكواة حمامية ، وصبت مادة ملونة على ثوب آخر ، ووجدت عقرب ذات ليلة في فراشها ، وصار الطعام الذي يقدم لها ، اما زائد الملح ، او ليس به ملح اصلاً ، ووضع فأر ميت يوماً في الخبز الذي تأكله !

كان هناك اضطهاد لنوفريت لا هوادة فيه ، ولكنه لم يكن ظاهراً مكشوفاً ، بل كان خفياً تقوم به نسوة الدار حريصات على الا تظهر تبعته . وأخيراً نادى ايزا يوماً ساتيبي وكيت وزنزن ، وقد سبقتهن اليها حنة واخذت تهز رأسها وتمسح بديها ، ثم قالت لمن ايزا بسخريتها الممهودة :

- اذن هنا حفيداتي الماهرات ، ماذا تفعلن جميعاً ؟ وما الذي اسمعه عن حرق ثوب لنوفريت وافساد طعامها ؟

فابتسمت ساتيبي وكيت وقالت اولاهما :

- هل شككت يوفريت اليك ؟

- كلا ، ان نوفريت لم تشك الي ، وهذا ما يقلقني .

- ولكنه لا يقلقني انا .

- هذا لأنك حمقاء .. ان نوفريت لها وجدها ذكاه اثنتين منكن على الأقل !

- سوف ترى ..

ولما سألتها ايزا عما تقصده ، اجابت قائلة :

- انك امرأة عجوز يا ايزا ، ولا اقول هذا لأن احترامي لك قد نقص ولكن الأمور صارت لا تهملك بالقدر الذي تهمننا نحن اللائي لنا ازواج

واطفال . لقد قررنا ان نتولى المسألة بأنفسنا ، مع تلك المرأة التي لا نجبها ، ولا نقبلها بيننا !

- هذه كلمات بديعة ، ولكن الفتيات الرقيقات في المطبخ يمكنهن ايضاً ان يحسن الكلام مثلك !

- صدقت ، انك تتكلمين يا ايزا بعقل وحكمة

- تعالي يا حنة ، ماذا تقول نوفريت حيال كل ذلك ؟ لا بد انك تعرفين فإنك معها دائماً .

- اني الازمها طبقاً لأمر المحوتب ، وانا اكره ذلك طبعاً ، ولكن ينبغي لي أن افعل ما امرني به السيد ، واملك لا تظنين ..

فقاطعتها ايزا قائلة :

- اننا نعرفك حق المعرفة يا حنت . انت دائماً مخلصه لنا ولا تلقين جزاء هذا الاخلاص ، والان ما تقول نوفريت ازاء كل ما حدث ؟ هذا ما اسألك عنه .

- انها لا تقول شيئاً وانما تبتم !

وهنا قالت ايزا بحزم :

- انكن جميعاً حمقات ، ان نوفريت هي صاحبة القوة لا انتن ، لأن كل ما تفعلنه انما يؤدي بكن الى الوقوع في قبضة يدها ، ويمكنني ان اقسم ان ما تفعلنه معها يسرها بدل ان يفضيها !

فصاحت ساتيبي قائلة :

- هذا هراء ، ان نوفريت واحدة بين جماعة واية قوة لها ؟

فقالت ايزا ،

- ان لها قوة شابة صغيرة حسناء افترنت برجل شيخ ، اني اعرف ما اقوله وحنث ايضاً تعرف .  
فقالت حنت :

- إن السيد شغوف بها .. ولا بد ..

فنظرت ايزا اليها وردت :

- إذهي إلى المطبخ واحضري لي بلحماً وبعض النبيذ السوري ، وقليلاً من عمل النحل أيضاً .

ولما ذهبت حنث قالت ايزا

- إن هناك شراً يتخمر .. وإني لأشم رائحته .. وأنت يا ساتيبي زعيمة هذه الحركة . فاحذري كل الحذر ، إنك تحسبين نفسك ماهرة فاحذري ان تقمي في يد نوفريرت !

ثم استندت إلى الورا وأغمضت عينيها وقالت :

- لقد حذرتكن ، كما يقضي بذلك واجبي ، ولكن أن تنصرفن

الآن ..

ولما خرجت ساتيبي قاصدة الى شاطئ البحر قالت لرفيقتها :

- كيف نكون في قبضة يد نوفريرت ؟! إن ايزا قد بدأت تخبر من الكبر .. إننا نحن اللاتي نمسك بنوفريرت في أيدينا . إننا لن نفعل معها شيئاً يمكن أن يؤخذ علينا .. وأعتقد انها سوف تندم على مجيئها إلى هذه الدار !

فصاحت بها رنزنوب :

- ما أقساك يا ساتيبي !

فنظرت ساتيبي اليها وردت :

- أتدعين انك تجبينها يا رنزنوب ؟

- كلا ! لا أحبها . لكني أراك محبة للانتقام !

- إني أفكر في أطفالي ، وفي يحموز .. إني لست إمراة ودیعة ، او امرأة تتحمل الإهانة .. ثم إني طموح .. إني مستعدة لأن أضرب عنق تلك المرأة بسرور بالغ .. غير ان الأمر ليس بهذه السهولة ، ويا

للأسف .. فإنه لا ينبغي لنا أن نشير غضب احموتب .. ولكني أعتقد انه يمكن تدبير شيء ..

\*\*\*

جلس يحموز وسوبك وایبي ينظرون إلى حوري وهو يقرأ عليهم الخطاب الوارد من أبيهم ، وكان على رؤوسهم الطير ، او كأنهم سمكة والخطاب حربة استقرت في أحشائها .

وكان احموتب يقول في خطابه :

- ألم أقل ليحموز إني أحمله تبعة كل أذى بصيب خدينتي ؟ إنكم طالما بقيتم على قيد الحياة فأنا عدوكم وأنتم أعدائي .. ولن أعيش معكم تحت سقف منزل واحد ، ما دمتم لم تحترموا نوفريرت .. إنك يا يحموز لم تعد ابني من لحمي ودمي . وأنتم كذلك ايضاً يا سوبك ويا ايبي . إن كل واحد منكم قد آذى خليلتي هذا ما شهد به كامني وحننت . سأطردكم جميعاً من منزلي . لقد علمتكم حتى الآن ولكني لن أعولكم بعد اليوم .

وسكت حوري لحظة ثم واصل قراءة الخطاب ، فاذا فيه ايضاً :

- إن احموتب ، كاهن كا ، يوجه الحديث إلى حوري . أنت الذي كنت دائماً مخلصاً أميناً ، كيف أنت في حياتك وفي طمأنينتك وصحتك ؟ بلغ تحياتي الى أمي ايزا وانتبه الى أعماله جيداً حتى أعود . وأعد لي وثيقة تشاركني بها نوفريرت في جميع أملاكي بحسبانها زوجتي . ولن أشرك معي في أملاكي يحموز ولا سوبك ، كذلك لن أعولهما ، وإني أعلن براءتي منهما مساداما قد آذيا خدينتي . احتفظ بكل شيء حتى أعود يا حوري . ما أفظع ان تؤذي أسرة الرجل خدينته في غيابه . أما ايبي فعذره فإنه إذا أساء الى نوفريرت أية إساءة فإنه هو ايضاً سيطرده من البيت .

وساد الجميع صمت رهيب ، ثم قال سوبك والشرر يتطاير من عينيه :  
- كيف حدث ذلك ؟ وما الذي نما إلى أبي ؟ ومن الذي بعث اليه بأنباء  
كاذبة ؟ إن أبي لن يستطيع أن يحررنا حقنا في الميراث هكذا ويمنح خليفته  
كل أملاكه !

فقال يحموز :

- إن ذلك سوف يثير كلام الناس ، ولن يروا فيه عدلاً وانصافاً ، ولكنه  
أمر في إمكان أحموتب من المناحية القانونية .  
فقال سوبك :

- لقد سحرته تلك الأفعى الرقطاء نوفريرت !

وتم يحموز في ذهول يقول :

- إن هذا أمر لا يصدق ! ولا يمكن أن يكون صحيحاً !

وصاح إيبى قائلاً :

- إن أبانا قد جن ولا شك .. إنه ينقلب علي أنا أيضاً من أجل تلك

المرأة !

فقال لهم حوري بتؤدة :

- إن أحموتب سيعود قريباً ، وقد قال ذلك في خطابه ، وعندئذ تكون  
صورة غضبه قد هدأت ، ولعله لا يعني ما كتبه تماماً .

وعندئذ سمعت ضحكة سخرية ، ونظر الشبان الأربعة فرأوا ساتيبي  
تنظر اليهم وتستمع عند الباب الموصل إلى جناح النساء وقالت لهم ساخرة :

- إذن هذا ما يجب علينا أن نفعله يا حوري البارح ؟ ننتظر لنرى !

فقال لها يحموز :

- وماذا يمكننا غير ذلك ؟

فصاحت ساتيبي قائلة :

- ألا يمكننا غير الانتظار ؟ أيجري في عروقكم جميعاً لبن بدلاً من الدم

إني أعرف يحموز فهو ليس برجل ، ولكن أنت يا سوبك .. اليس لديك علاج  
لهذا الشر المستطير ؟ إن غرس سكين في قلب الأفعى يجعلنا بنجوة من كل  
سوء تنزله بنا .

فقال يحموز :

- إن أبي لن يغفر لنا ذلك أبداً !

- أنت تقول هذا ، ولكن ثق بأن خدينة ميمتة ليست كخدينة حية ،  
ومنى ماتت عاد قلب أحموتب ملكاً لأبنائه وأحفاده ، ثم اني له أن يعرف  
كيف ماتت ؟ يمكننا أن نزع من عقرباً لدغتها ، إننا كلنا يد واحدة في هذه  
المسألة ، السنا كذلك ؟

فرد يحموز قائلاً :

- إن أبي سيعلم الحقيقة ، وحنث لن نتوانى عن إخباره بها .

فضحكت ساتيبي ضحكة هسترية قائلة :

- يا لك من رجل بعيد النظر متريث يا يحموز ! يا لك من رجل حذر !

انك أنت الذي ينبغي لك أن تتولى تربية الأطفال وتؤدي عمل النساء في  
مؤخرة البيت ! لقد تزوجت رجلاً ليس برجل ! وأنت يا سوبك ، أين  
تفاخرك بالشجاعة والعزيمة ؟ إني أقسم برع ، اني أكثر رجولة منك  
كليكاً !

وخرجت غاضبة لا تلوي على شيء ، وكانت كيت واقفة خلفها فتقدمت  
وقالت :

- إن ما تقوله ساتيبي عين الحق .. إنها أكثر رجولة من أي واحد

منكم .. أنتم يا يحموز وسوبك وإيبى . أتقعدون هنا ولا تفعلون شيئاً ؟

وماذا سيكون مآل أطفالنا يا سوبك ؟ إنهم سيترددون من البيت ليموتوا

جوعاً .. حسناً اذا كنتم لن تفعلوا شيئاً فسأفعل أنا ، ما دمتم جميعاً ليس

فيكم رجل !

ولما ذهبت هي الأخرى وقف سوبك وقال :

- أقسم بالأرباب التهمة : إن كيت لعل صواب ! ان هناك عملا لا يؤديه إلا رجل ، ونحن نجلس ما هنا ونهز رؤوسنا أسفا ولا نفعل شيئا ؟

ومضى خارجا فناداه حوري قائلا :

- سوبك .. سوبك . الى أين تذهب ؟ ماذا أنت فاعل ؟

فصاح سوبك قائلا :

- سأفعل .. سأفعل شيئا ما .. هذا واضح والذي سأفعله سيبيث في نفسي سرورا !

\*\*\*

خرجت رنزنوب الى الشرفة ووقفت لحظة تحجب عينيها عن أشعة الشمس وكانت تحس بخوف لا تدري كنهه ، وتقول لنفسها : يجب أن أحذر نوفريرت من الضروري أن أحذرها !

وكانت تسمع خلفها ، في داخل البيت ، أصوات رجال ، فقد كان حوري ويحموز يتكلمان هناك معا بينما صوت ابيي يرتفع قائلا :

- ان ساتيبي وكيت على حق ، ليس في هذه الأسرة رجال ، ولكي أنا رجل ! انني أشعر بالرجولة في قلبي ، وان لم تكن في سني ، لقد سخرت مني نوفريرت وضحككت علي وعاملتني كطفل . وسأرحا اني لست طفلا ، ولا أخاف غضب أبي ، فلاني أعرفه ، انه مسحور ، لقد سحرته هذه المرأة ، واذا ماتت فسوف يتجه بحبته الي كذي قبل .. اني أحب اولاده اليه .. انكم جميعا تعاملونني وكأني طفل .. ولكن سترون ، أجل سترون ؟

ثم اندفع خارجا من المنزل ، فاصطدم برنزنوب حق كاد يوقعها على الأرض

فأمسكت بكه قائلة :

- الى أين يا ابيي ؟

- سأبحث عن نوفريرت ، وسنرى هل نستطيع إن تضحك مني !

- انتظر قليلا .. يجب أن تبدأ .. لا ينبغي لأحد مننا أن يقدم على

عمل طائش !

فضحك الفتى وقال بازدراء :

- طائش ؟ انك مثل يحموز : دائما متبصرة حذرة ؟ وعندك انه لا يصح

الاسراع في أي شيء ؟ ان يحموز ليس الا امرأة عجوز ، وسوبك كالطبل

الأجوف كلاما وتفماخرا . دهيني أخرج يا اخي ..

ثم جذب كته من يد اخته ومضى بصيح قائلا :

- أين نوفريرت ؟ اين هي ؟

\*\*\*

وكانت حنث قد خرجت من داخل المنزل فتمتمت قائلة :

- هذا شر ؟ ماذا يصير اليه أمرنا كلنا ؟

فسألها ابيي :

- أين نوفريرت يا حنث ؟

وهنا تدخلت رنزنوب قائلة لها :

- حذار يا حنث ، لا تنبئيه بمكانها ؟

ولكن حنث كانت قد بدأت تجيبه قائلة :

- لقد خرجت الى الطريق الخلفي قاصدة حقول الكتان ؟

ثم اندفع ابيي الى داخل المنزل ، بينما قالت رنزنوب لحنث مؤنبة :

- ما كان ينبغي أن تخبريه بمكانها

- انك لا تثقين بحنث المعجوز ليست لك أية ثقة بي ، ولكن حنث المعجوز المسكينه تعرف ما هي فاعلة ، ان الفقى يحتاج الى فترة من الوقت لتهدأ ثورة غضبه ، انه لن يجد نوفريرت في حقول الكتان . ان نوفريرت هنا في الايوان مع كامني .

ثم أشارت برأسها الى طرف فناء الدار ، وكررت كلمتها الأخيرة : « مع كامني .. »  
فمضت في طريقها الى حيث كانت نوفريرت واقفة مع كامني ، وقالت لها لاهثة :

- نوفريرت .. لقد جئت لأحذرك ، يجب ان تأخذي حذرك .  
فنظرت اليها نوفريرت نظرة تدل على اللهو وعدم الاكتراث وقالت :

- إذن فالكلاب تنبح ؟

- انهم في غضب شديد .. انهم سينزلون بك اذى !

فهزت نوفريرت رأسها وقالت :

- لا يستطيع أحد أن يؤذيني ، واذا فعلوا فسيعلم ابوك وينتقم منهم ،

انهم ليعرفون ذلك حق المعرفة .

ثم ضحكت قائلة :

- ما كان احققهم باهائاتهم الصغيرة واضطهادهم السخيف ؟ انهم كانوا

يلعبون اللعبة التي رتبناها أنا لهم

فقال رنزنوب بدهشة :

- اذن .. أنت التي دبرت كل ذلك ، بينما كنت أنا أرثي لك واحسب

اننا قساة القلوب ؟ اني لست آسفة الآن . بل أعتقد انك شريرة يا نوفريرت

انك حين تأتين لتتكري الذنوب الاثني والاربعين في ساعة الحساب ، لن

تقدري ان تقولي : « لم أفعل ذلك » ، ولن تقدري أيضا ان تقولي : « اني لم

أكن ذات طمع » . وعندئذ يرسب قلبك في الميزان حمال ريشة الصدق !

فقال نوفريرت عابسة :

- لقد تواتك التقوى بغتة ، وانكني لم أوذك أنت يا رنزنوب ، ولم أقسل

شيئا ضدك ، سلي كامني عن ذلك ..

ثم تركتها ومشت صوب الشرق فخرجت حنث لتقابلها ودخلتا معا الى

جناح النساء في الدار ..

وهنا التفتت رنزنوب الى كامني قائلة :

- اذن أنت الذي ساعدها على أن تفعل ذلك بنا يا كامني ؟

فقال لها كامني باهتمام :

- هل أنت متكدره مني يا رنزنوب ؟ ولكن ماذا كان يمكنني أن

أفعل ؟ قبل أن يسافر أبوك كلفني ان أكتب اليه ما تلميه نوفريرت علي

في أي وقت تشاء . قولي انك لا تلوميني يا رنزنوب ، وماذا كان يمكنني

عمله ؟

- اني لا الومك ، فقد كان عليك ان تتفد اوامر ابي .

- على اني لم اكن مرتاحا لما فعلت .. وثقي ياسيدي انه لم يكن في

الخطاب الذي كتبتة اية كلمة ضدك .

- هذا لا هممني ؟

لكنه هممني انا ، ولو ان نوفريرت ارادت املاء شيء ضدك لما كتبتة ،

صدقيني يا رنزنوب .

ثم تابع كامني ملححا :

- اني لم اكتب الا الحق .. ولم يحتو الخطاب اكاذيب مطلقا ..

واقسم لك ..

- اني واذفة من ان الخطاب لم يحتو على اكاذيب ، فان نوفريرت امكر

من ان تكذب ، واذن . فقد كانت ايزا المعجوز على صواب ، فان الاضطهاد

الذي لقيته نوفريرت من ساتيبي وكيت هو الهسد الذي كانت تسمى

اليه فلا عجب ان كانت تقابل ذلك الاضطهاد بابتسامتها الماكرة  
انها شريرة ..

- اجل انها تحب الشر؟

فالتفتت اليه وسألته باهتمام :

- هل كنت تعرفها قبل ان تأتي الينا؟ الم تعرفها في ممفيس؟

فاحمر وجهه وبان عليه الارتباك وقال :

- لم اكن اعرفها معرفة وثيقة ، وانما كنت اسمع عنها . وكان الناس

يقولون انها فتاة متكبرة طموح ، وانها قاسية لا تغفر قط ؟

- اني لا اصدق ما جاء بخطاب ابي ، انه لا يمكن ان ينفذ وعيده ، اجل

انه كان في سورة الغضب ، ولكنه لا يقدر ان يكون ظالما الى هذا الحد ،

ولا شك في انه سيصفح حين يعود .

- حين يعود ستأخذ نوفريت على عاتقها الا يغير رأيه ، انها شديدة

الدهاء قوية العزيمة ..

ثم واصل كلامه قائلاً :

- لا تنسي انها جميلة؟

- نعم .. انها جميلة ..

ثم نهضت وقد شعرت بضيق لا تعرف سببه ، لدى سماعها - كما نفي

بذكر جمال نوفريت .

\*\*\*

قضت رنزنوب أصيل اليوم في ملاعبة الاطفال ، وقد خفف ذلك من

الام النفساني الذي تحسه .

ثم نهضت من مكانها قبيل الغروب ، واخذت تسوي شعرها وترقب ثيابها

وهي في دهشة من أمر ساتيبي وكيت لانها لم تخرجها من الدار كما ادتها حق  
ذلك الوقت .

وشعرت رنزنوب بفراغ كبير واخذت تسأل نفسها

- أين خرج الجميع؟

ربما كان حوري قد خرج إلى المقبرة ، وربما كان يحموز معه ، أو في

الحقول ، ولعل سوبك وايبى عند الماشية أو في مخازن القمح ، ولكن أين

ساتيبي وكيت؟ وأين نوفريت؟

وكان العطر الذي تستعمله نوفريت يملأ أريجها غرفتها ، وكانت المعطور

والأدهنة والثياب وأدوات الزينة ، تتحدث كلها عن صاحبته نوفريت ،

ولكن أين هي؟

ومضت رنزنوب إلى المدخل الخلفي للدار فقابلت حنث قادمة .

فسألتهما :

- أين خرج الجميع يا حنث؟ ليس بالدار غير جدتي!

- اني لي أن أعرف يا سيدتي؟ لقد كنت أشتغل - أساعد في النسيج ،

وأقوم بألف عمل ، وليس عندي متسع من الوقت للزينة والرياضة .

فأدركت رنزنوب من حديثها ان احداً قد خرج للرياضة ، ربما قبعت

ساتيبي يحموز إلى المقبرة لتزيده لوماً وتقريباً . ولكن أين كيت؟ إنها لم

تعتمد الاعتماد عن الأطفال زمناً طويلاً .

وعاد خوفها الدفين يلح عليها في السؤال :

- أين نوفريت؟

وكأنما قرأت حنث ما يدور بخلدتها فقالت لها :

- أما نوفريت فقد ذهبت منذ مدة طويلة إلى المقبرة ، لا بأس ، ان

حوري نذ لها ، فإنه ذكي مثلها .

ثم اقتربت من رنزنوب وقالت لها :

- بودي أن تعلمين مقدار أسفي لكل ما حدث ، لقد جاءت نوفريرت إلي في ذلك اليوم والدم يجري على خدها من اثر لطمة كبت لها ، ثم امرت كامي ان يكتب خطاباً للسيد ، وارغمتني على أن اشهد بسأني رأيت الأمر بعيني ، وبالطبع لم اقدر ان اقول لها إنني لم أر شيئاً ! آه ، إنها مأساكرة ، وأنا طول الوقت افكر في المرحومة امك العزيزة .

فتركتها رنزنوب ومشت تحت اشعة الشمس الذهبية ، وكانت تتراعى لها ظلال عميقة على الصخور ، والمالم كله يبدو عجيباً في تلك الساعة قبيل الغروب .

\* \* \*

أسرعت رنزنوب في خطاها حين أخذت طريقها إلى الدرب الصخري الصاعد إلى المقبرة ، وقد اعتزمت ان تذهب اليها لتلقى هناك حوري . فقد اعتادت في طفولتها أن تقصد اليه كلما انكسرت دميته ، وكلما شعرت بالحيرة او الخوف ، إن حوري مثل الصخر نفسه ، ثابت لا يتحرك ولا يتغير .

وزادت خطاها سرعة حتى لكانها تجري ، وفجأة رأت ساتيبي القادمة اليها ، وهي تترنح وتميل من جانب بالطريق إلى آخر وقتئذ كأنها لا ترى ا لما رأت ساتيبي رنزنوب امامها وقفت بغتة ودقت صدرها دهشة ، فوقفت هذه حتى إذا اقتربت منها ساتيبي ، ورأت وجهها قالت لها :

- ماذا بك يا ساتيبي ؟ هل أنت مريضة ؟

فأجابتها بصوت أجش وعينين زائفتين :

- كلا .. كلا !

- ولكنك تبدين مريضة ، بل يبدو عليك الخوف ماذا حدث ؟

- وما الذي حدث ؟ لا شيء ..

- أين كنت إذن ؟

- ذهبت إلى المقبرة لأقابل بجموز ، ولكنه لم يكن هناك .. لم يكن أي أحد هناك .

فظلت رنزنوب تمن في النظر ، وقد خيل اليها انها ليست ساتيبي التي تعهدا ، بل اصبحت امرأة أخرى وقد فقدت كل ما كان لها من عزيمة واعتداد بالنفس .

وما لبثت هذه ان قالت لها

- تعالي يا رنزنوب ، تعالي إلى المنزل !

ووضعت يدها المرتعشة على كتف رنزنوب ، وراحت تحسها على العودة إلى المنزل ، فأحست رنزنوب رجفة من لمستها وقالت لها :

- كلا . إنني ذاهبة إلى المقبرة .

- ان المقبرة ليس فيها احد كما ذكرت لك .

- ولكنني احب ان انظر إلى النهر وان اجلس هناك .

- ولكن المساء اوشك ان يحل ، لقد تأخر بك الوقت .

ثم امسكت ذراع رنزنوب بقوة لتحول دون ذهابها ، ولكن رنزنوب جذبت ذراعها قائلة :

- دعيني اذهب .

- كلا بل ترجمين معي إلى المنزل .

ولكن رنزنوب كانت قد حررت نفسها من قبضتها وبدأت تسلك طريقها صوب المقبرة .

وقد دلتها غريزتها على ان هناك شيئاً ما .. وامرعت في مشيتها حتى صارت كأنها تعدو ، ثم رأت كومة معتمة في ظل صخرة فأمرعت حتى وصلت اليها .

ولم يدهشها ان رأت نوفريرت راقدت هناك وقد خمدت حركتها وصارت  
جثة بلا روح .

ولعلها توقعت ذلك من قبل .

ثم انخفضت ولمست خد نوفريرت فإذا هو بارد يابس ..

فأخذت تنظر اليها ، ولم تشعر بوصول ساتيبي الا عندما سمعتها تهتف بها  
من خلفها قائلة :

- لا بد انها وقعت .. انها كانت تسلك الدرب الصخري فوقعت .

ففكرت رنزنوب وقالت لنفسها :

- أجل ، هذا ما حدث ، لا شك انها سقطت من الدرب المرتفع وان

جسمها ارتطم بالصخور من سقطتها .

ثم قالت ساتيبي :

- ربما كانت قد رأت افعى فارقت ، إن بذلك الدرب احيانا افاعي

تنام في شعاع الشمس .

ولم تره رنزنوب ، ومضت تحدث نفسها قائلة :

- اجل ، افعى .. سوبك والافعى .. افعى مقصومة الظهر راقدة في

وهج الشمس .

ثم شعرت بالطمأنينة اذ سمعت صوت حوري يقول :

- ماذا حدث ؟

فالتفتت اليه مطمئنة ، ورأت انه قد جاء مع يحموز .

وكانت ساتيبي تشرح باهتمام كيف ان نوفريرت لا بد قد سقطت من الدرب

الذي فوق !

فقال يحموز

- لا بد انها قد ذهبت الى المقبرة لتلقاها ، والكني أنا وحوري كنا قد

ذهبنا لنرى قنوات الري ، وقد مكثنا هناك نحو ساعة ، ولما عدنا وجدنا كما

واقفين هنا

فقال رنزنوب بصوت ادهشها هي نفسها :

- اين سوبك؟

وشعرت - دون ان ترى - ان حوري قد ادار وجهه عند هذا السؤال .

اما يحموز فأجاب بحيرة ظاهرة :

- سوبك ؟ اني لم أره بعد ظهر اليوم ، منذ غادر المنزل غاضباً .

وكان حوري ينظر الى رنزنوب ، ولما نظرت اليه تفادى بصرها ، ونظر

الى جثة نوفريرت ، فأدركت ما يحول بخاطره .

ثم سمعته يتمتم :

- سوبك ؟

فسمعت نفسها تقول :

- كلا . كلا !

وعادت ساتيبي تؤكد قولها :

- لقد سقطت نوفريرت من الدرب ، ان الدرب ضيق جداً في هذا المكان

وخطر جداً أيضاً ؟

وساءلت رنزنوب نفسها :

- خطر ؟ ألم يقل لي يحموز يوماً : ان سوبك هاجم يحموز حين كانا

طفلين ، فجاءت أمهم وقالت لسوبك : لا ينبغي ان تفعل ذلك يا سوبك انه

خطر .. ان سوبك يميل الى القتل .. ولقد قال : ان ما سأفعله سيملأ قلبي

سروراً ..

ان سوبك قد قتل افعى .. وتخليته رنزنوب بصادف نوفريرت في الدرب

الضيق .

ثم سمعت نفسها تتمتم قائلة :

- نحن لا نعرف ، نحن لا نعرف ..



ومالبت ان ارتاحت وأحست كأن عيننا ثقيلاً قد ازيج من فوق  
صدرها ، اذ سمعت حوري يؤكد بصوته الرزين ما قالت ساتيبي ،  
ويقول مثلها :

- لا بد انها سقطت من الدرب .

فتقابل نظرها مع نظره ، وقالت لنفسها :

- انا وهو نمرق الحقيقة .

ثم سمعت نفسها قائلة :

- لا بد انها سقطت من الدرب ؟

ثم قال يحموز بصوته الرقيق وكأنه رجم الصدى :

- لا بد انها سقطت من الدرب ..

- ٦ -

جلس أحوتب يحدث ايزا قائلاً :

- إنهم جميعاً يخبرون ما نحدث كأنهم واحد !

فقالت ايزا :

- هذا على الأقل شيء مريب .

فبدت الدهشة في وجهه وقال :

- مريب ؟ ماذا تقصدين ؟ أم صادقون في روايتهم ؟ أريد ان أتثبت

من ذلك !

- إنك لست الإلاهة ( ممت ) ولا ( أنوبيس ) ، التي تون القلوب

في الميزان !

فأطرق هنيهة مفكراً ، ثم قال :

- أخشى أن يكون لما أعلنته من اعترام معاقبة أسرتي الناكرة للجميل ،

صلة بوفاء نوفريرت .

- لا بد ان تهديدك إيام في الخطاب قد أثارهم جميعاً ، وكانت أصواتهم وهم

يتصايحون في غرفة الاستقبال ، تصل واضحة الى سمعي في غرفتي ! لكن ..

أكنت تعتزم طردهم حقاً ؟

فتملأ أحوتب في مقدمه وقال :

- لقد كتبت الخطاب وأنا في فورة غضب ، وكانت أسرتي تحتاج الى درس القنبا إياه !  
- ولعلك لم تكن تقصد أكثر من ان تلقنهم ذلك الدرس .. اليس كذلك ؟

فصعد أمحوتب زفرة حرى وقال :

- يا أمي العزيزة .. ما فائدة ذلك الآن ؟

- إذن ، لم تكن تعني ما ذكرت في الخطاب ؟ . ولم يكن هذا إلا مظهراً لتعجلك ونزقك كالمعتاد ؟

فكظم أمحوتب غيظه بصموية وقال :

- إن المجال لا يتسع لبحث هذه التفاصيل .. ولا يعني الآن البحث مسألة وفاة نوفريرت فإذا ظهر لي ان أحداً من أفراد أسرتي بلغ به الجحود والنزق الى حد ان يقتل فتاة فاني .

فقاطمته ايزا قائلة :

- اذن .. من حسن الحظ ، أنهم جميعاً ، قد اتفقت أقوالهم على أن وفاتها كانت طبيعية .. وعليك ، الآن ، أن تعد الحادث منتهياً .. لقد كان يحسن بك أن تعمل بمشورتي ، وتأخذ الفتاة معك في سفرك الى الشمال !

فازداد تقطيب وجهه وقال :

- هل معنى ذلك انك تعتقدين ..

فقاطمته قائلة بلمحة التأكيد :

- اني أعتقد صحة ما يقال لي ، الا اذا تمارس مع ما رأيته بعيني ، أو سمعته بأذني .. ولا بد انك سألت حنث في القضية ، فإذا كان جوابها ؟

- انها شديدة الحزن من أجلي ! وهي لا بد ذات فؤاد رحيم

- نعم ، ان حنث مخلصه رحيمة ، غير ان لسانها سليط ، واذا كان حزنها من أجلك فقط فاني أعتقد ان الحادث قد انتهى ، وهناك مسائل اخرى عديدة تستحق الالتفات .

فاستعاد مظهر الجد والاهتمام وقال :

- صحيح .. ان يحموز ينتظرنى الآن في قاعة الاستقبال ، ليعرض علي مسائل شتى تتطلب مني الاهتمام العاجل . وهناك قرارات عديدة تنتظر الاجازة مني ، وكما تقولين ، لا ينبغي للحزن الفردي ان يحول دون الأعمال الهامة في الحياة .

ثم غادر الحجره مسرعاً ، فابتسمت ايزا ساخرة ثم عاد وجهها جامداً رزيناً كما كان

وكان يحموز ينتظر أباه ومعه كامني ، فلما وافاهما أمحوتب ، ابتدره يحموز قائلاً :

- ان حوري مشغول بالإشراف على عمل المخططين واللحادين الذين يعدون المعدات لجنائزة نوفريرت .

وكانت عودة أمحوتب قد استغرقت بضعة أسابيع ، بعد ان نعت اليه خليلته .. فأخذ يحموز خلال ذلك في اعداد معدات الجنائزة ، فنقع جثتها مدة طويلة في ماء ملح ، حتى استعاد هيئته الطبيعية تقريباً ، ثم دهن بالزيت ومسح بالملح ولف في الأربطة ، ووضع في التابوت الخاص به ، وانتظاراً لعودة أبيه .

ثم قال يحموز لأبيه :

- قد أعددتا للجنائزة الغرفة الصغيرة القريبة من المقبرة

ومضى يذكر بالتفصيل ما أمر باتخاذ من تدابير .

وكانت تلك الغرفة قد أعدت ليكون فيها قبر أمحوتب نفسه ، فارتاحت نفسه لتصرف يحموز على هذا النحو وقال :

- قد احسنت يا يحموز ، ويبدو انك تصرفت بحكمة ، واحتفظت  
برباطة جأشك .

فاحمر وجه يحموز خجلاً حيال هذا الثناء غير المرتقب ، وأطرق ساكتاً ،  
بينما استطرد والده قائلاً :

- ان ابي ومونتي من المهنطين الذين يغالون في أجورهم . فثلاً هذه  
الأوعية الخاصة بحفظ الأحشاء تبدو لي باهظة الثمن ، والواقع انه لا حاجة  
لمثل هذا الإمراف ، ان ما يطلبونه من الأجر فادح جداً ، وهذا شرماً  
في هؤلاء المهنطين الذين استخدمتهم امرة الحاكم ، فانه يحسبون ان من  
حقمهم المطالبة بأي أجر ، وكان خيراً لنا ان نستخدم مهنطين آخرين أقل  
شهرة وأجراً .

فقال يحموز :

- كان علي في غيابك ان أبت في هذه الأمور ، وقد حرصت على ان تحاط  
خدينتك بكل تكريم ، اذ اني أعرف سمو مكانتها عندك .

فاوما الأب برأسه موافقاً ، وربت كتف ابنه قائلاً :

- انه خطأ يحسب لك لا عليك ، ولا شك في انك بعيد النظر في  
مسائل المال ، وانك لم تنفق ما أنفقت في هذا الشأن الا لإرضائي .  
وعلى أي حال فان الخليفة غير الزوجة ، كما تعلم ، وأرى ان نلغي التائم  
الفادحة الثمن .. ولعل هناك أشياء أخرى يمكن الاقتصاد فيها ، اقرأ  
البيانات يا كامي .

فشر كامي ورقة البردى أمامه ، وأخذ يقرأ ما فيها من بيانات .

\* \* \*

جاءت كيت متباطئة من الدار الى البحيرة ، حيث يلعب الأطفال مع

أمهاتهم ، ثم قالت لساتيبي :

- لقد كنت على صواب ، يا ساتيبي ، فان خليفة حية ليست  
كخليفة ميتة .

ونظرت اليها ساتيبي نظرة حائرة ولم تجب ، وتدخلت رنزنوب سائلة كيت  
عما عنته فعادت هذه تقول :

- ان الخليفة الحية لا يضمن عليها بشيء ، سواء أكان ثياباً أم حلياً .  
بل ان ميراث المحوتب كاد يؤول الى خليلته وهي حية بدلاً من اولاده  
وأحفاده . اما الآن ، وقد توفيت هذه الخليفة ، فان المحوتب مشغول بالاقتصاد  
في نفقات جنازتها . ولماذا يبذر المال ويضيعه على امرأة ميتة ؟ نعم ، فقد كانت  
ساتيبي على حق .

فتمتمت ساتيبي قائلة :

- وماذا قلته أنا ؟ فقد نسيتته .

فأجابتها كيت :

- حسناً فعلت . وانا ايضاً قد نسيتته . وكذلك رنزنوب

فنظرت رنزنوب الى كيت دون ان تتكلم ، فقد بدا في صوتها شيء ينم عن  
الوعيد . وكانت رنزنوب قد اعتادت ان تنظر اليها نظرتها الى امرأة غيبية  
خاضعة جدية بالاهمال . فمعبت الآن اذ الفتها تتعهم في ساتيبي بعد ان كانت  
هذه هي المتحركة المعتدية عادة .

ثم قالت رنزنوب تحدث نفسها .

- ان الناس لا يبدلون طباعهم بمثل هذه السهولة .. وانه لأمر يدعو  
الى اشد العجب والحيرة ان تغيرت طباع كيت وساتيبي في الاسابيع القليلة  
الاخيرة ، فما السبب يا ترى ؟ .

لا بد ان ساتيبي قد انهارت فعبأة واعتراها تغير واضح ، فان صوتها لم يعد  
يرتفع بسلطتها المعتادة ، وهي الآن تشي بخطى مترددة لا تتفق مع ما كان لها

من اعتداد بالنفس ، وقد كنت اظن ان ذلك التغير ناشىء من الصدمة التي تلقيتها  
بوفاة توفريت ، بل كان المتوقع منها ان تجهر بفرحها لوفاتها هكذا فجأة ،  
قبل حينها

وقد أصبح يحموز بنجوة من لومها وتقريرها فاتخذ لنفسه مسلك الحزم ..  
وعلى أي حال فان هذا التغير الذي اعترأها جدير بالحمد ، وان كان يوحى بقلق  
مبهم ولا اعرف له سببا .

وارتاعت رنزنوب ، اذ حانت منها التفاتة الى كيت ، فاذا هي تحملق فيها  
عابسة ، فتذكرت انها كانت تنتظر منها كلمة موافقة على شيء قالته . ثم  
سمعتها تتول مرة اخرى :

- ان رنزنوب ايضا قد نسيتته .

وقالت كيت بعد هنيئة :

- ان نساء هذه الدار يجب ان يكن يداً واحدة .

فنظرت اليها رنزنوب وسألته متعجدة :

- لماذا ؟

فردت كيت :

- لان مصالحن واحدة .

وهزت رنزنوب رأسها كالموافقة ، وحدثت نفسها قائلة :

- كلا .. ان لي شخصيتي المستقلة .

ثم ردت بصوت عال :

- ان الامر ليس بهذه السهولة .

- ماذا ؟ أتريدن اثاره مشاكل ؟

- كل .. لكن ماذا تعنين بكلمة مشاكل ؟

- اعني ان كل ما قيل في ذلك اليوم بالقاعة الكبرى يجب ان يكون الآن

في زوايا النسيان .

فضحكت رنزنوب قائلة :

- أنت غبية يا كيت ، إن الخدم والعبيد وجدتي وكل الناس قد سمعوا  
ما قيل يومئذ ، فلماذا ندعي ان شيئاً لم يحدث مع انه حدث ؟

فقالت ساتيبي :

- لقد كنا وقتئذ في سورة غضب ، ولم نقصد ما قلناه ، دعني الكلام  
في هذا الموضوع يا كيت .. وإذا كانت رنزنوب تريد أن تثير مشاكل فدعها  
ورشاها ..

فردت رنزنوب بكدر :

- لا أريد ان أثير مشاكل ولكن من الغباوة أن ندعي .

فقاطعتها كيت قائلة :

- ليس ذلك غباوة بل حكمة .. إن ابنتك تبي ، تستحق أن تراعيها !

- ابنتي .. ابنتي .. إنها في خير حال !

- نعم إنها بخير وكل شيء على ما يرام ، ولكن من الضروري ان تعلمي

بأن هذا لأن توفريت ماتت ..

وبقيت رنزنوب ساكنة مفكرة في كل هذا وهي جالسة على شاطئ  
البحيرة وحدها بعد أن عادت ساتيبي والأطفال إلى الدار ، وكانت الشمس  
قد مالت للغيب حين لمحها حوري هناك وهو يعبر الفناء ، فاتخذ طريقه اليها  
وجلس بجانبها وقال لها :

- لقد تأخر بك الوقت يا عزيزتي . إن الشمس اوشكت أن تغرب ،

وينبغي لك أن تدخلي الدار .

وشعرت بالهدوء عند سماع صوته الرزين والتفتت اليه تسأله :

- امن الضروري على نساء الدار أن يكن يداً واحدة ؟

فسألها بنوبته :

- من قال ذلك ؟

- كيت ، رسائبي ، و ..

ولم تم ما ارادت قوله .

فقال حوري :

- أريدن أن تستقلي بتفكيرك ؟

- تفكيري ؟ إني لا أدري كيف أفكر يا حوري ! فقد اضطرب كل شيء في ذهني ، إن الناس غامضون ، فكل انسان يختلف عما كنت أتخيله ، كنت أظن ساتيبي دائماً جريئة صادقة العزيزة محبة للسيطرة ، ولكنها الآن ضعيفة ذليلة بل خائفة ! إذن أيتها ساتيبي الحقيقية ؟ إن الناس لا يمكن أن يتغيروا هكذا بين يوم وليلة !

فقال لها في هدوء :

- نعم ، لا يمكن ان يتم هذا بين يوم وليلة ..

واستأنفت هي كلامها قائلة :

- إن كيت التي كانت دائماً وديعة خائفة ، وقدمت كل انسان يعنفها ، صارت الآن متعكة في الجميع ، حتى سوبك نفسه صار يخشاها ، وقد اختلف بعموم هو الآخر ، عما كان عليه فهو الآن يصدر أوامره ولا ينتظر إلا أن يطاع !

فسألتها حوري :

- ولماذا بحيرك هذا ..

- اني لا أفهمه ، وقد أشعر أحياناً بان حنت أيضاً مختلفة تماماً عما تبدو عليه .

وضحكت وكأنها تضحك من شيء ضعيف ، ولكن حوري لم يشاركها في الضحك وبقي بادي الرزانة مستغرقاً في التفكير .

ثم قال لها :

- إنك لم تكوني تفكرين في الناس كثيراً يا رنزنوب ، ولو انك فكرت

فيهم لأدر كيت

ثم توقف عن الكلام لحظة وقال لها :

- انك تعلمين ان لكل مقبرة باباً وهمياً ، والواقع ان الناس كذلك أيضاً ، فهم يخلقون لأنفسهم أبواباً وهمية ليخدعوا بها غيرهم ، فإذا شعر أحدهم في قرارة نفسه بالضعف وقلة الكفاية ، وضع أمامه باباً كاذباً من الكبرياء والادعاء والاعتداد بالنفس ، ولا يلبث قليلاً حتى يظن نفسه كما يظنه الناس كذلك . ولكن الباب الوهمي ليس سوى صخرة جرداء ، ومتى جاءت الحقيقة ولمست بيدها ذلك الباب استعاد المرء شخصيته الحقيقية ..

وعلى هذا بدت كيت أول الأمر وادعة خائفة ، فلما نالت ما أرادت به بذلك من الحصول على الزوج والأطفال والعيشة المطمئنة ، جاءت الحقيقة في هيئة خطر محقق يهدد بفقدانها ما حصلت عليه بوداعتها وخضوعها وغبارتها ، وحينئذ تكشفت شخصيتها الكامنة ، وبدت قوية جريئة كما هي في الواقع !

فقالت ببراعة الطفولة :

- ولكني لا أحب ذلك يا حوري ، فإني أخيفني ان أرى كل انسان مختلفاً عما حسبته ، وأعتقد اني لم أتغير ، ولن أتغير !

فابتسم حوري وقال لها :

- أنت حقاً كذلك ؟ اذن .. لماذا جلست هنا كل هذه الساعات تجهدين ذهنك في التفكير ؟ هل رنزنوب التي ذهبت مع خاني ، كانت تجلس وتفكر هكذا ؟

- كلا ! لم تكن ثمة حاجة لذلك ..

- أرايت ؟ لقد قلتها أنت نفسك اذ أشرت إلى الحاجة ، إنك الآن لست تلك الطفلة السعيدة الخالية الذهن التي تقبل كل شيء على ظاهره ، كما كنت

تظهمين دائماً .. إنك لا تريد أن تفني شخصيتك في شخصيات نساء الدار ،  
بل تريد أن تفكري لنفسك مستقلة !

ففكرت قليلاً ثم قالت لحوري فجأة :

- حقاً . اني لأعجب من امر نوفريرت .

ولما سألتها عما دعاها إلى ذلك العجب قالت :

- لا أدري يا حوري لماذا لا أستطيع إبعاد صورة نوفريرت من خاطري

لقد كانت رديئة قاسية سمعت في ايذائنا جميعاً ، وهي الان ميتة ، فلماذا

لا أترك الأمر عند هذا الحد .

ثم مرت بيدها على جبينها كأنها تحاول معاودة البحث عن الأسباب ،

وهزت رأسها أخيراً قائلة :

- يخيل إلي أحياناً اني أعرف ما جرى لنوفريرت ؟

- تعرفين ؟ ماذا تعنين بذلك ؟

- لا أقدر أن أوضح ، ولكن يحدث ذلك لي أحياناً ، فأشعر بأنها هنا

بقربي ، بل اكاد أشعر بأني هي ، ويخيل الي اني أدري شعورها ، لقد

كانت بائسة ، اجل يا حوري اني اعرف ذلك الان ، وان كنت لم أعرفه

وقتئذ ، لقد ارادت أن تؤذينا جميعاً لأنها كانت تعسة ..

- لكنك لا تستطيعين ان تعرفي ذلك ..

- نعم ، لا يمكنني أن اعرفه ، ولكنني اشعر به ، لقد رأيت في ملاحظها

مرة ذلك البؤس وقلق المرارة وذلك البغض السحيق ، ولكنني لم أدرك هذه

الحقيقة حينذاك . لا بد انها احبت احداً ثم سارت الأمور بما لم تكن

تشتهي ، ولعل من أحبته مات أو ذهب بعيداً ، وتركها هكذا حبة

للأذى ميالة لاحداث الجراح بالناس ، يمكنك أن تقول ما تشاء فاني موقنة

اني على صواب ؟ لقد أصبحت خلية لشيخ عجوز ، ولما جاءت معه إلى

هنا أبفضناها جميعاً ، فرأت أن تجعلنا جميعاً نساء مثلها . أجل هذه

هي الحقيقة ..

فنظر حوري اليها متمجباً وقال :

- إنك تتكلمين واثقة بما تقولينه ، ومع هذا لم تعرفي نوفريرت تماماً ..

- اني أشعر بـ... أن نوفريرت كانت كما ذكرت ، وأحياناً احس انها

جد قربية مني

وسكنت الاثنان قليلاً ، وكان الليل قد أرخى سدوله ، فقال حوري

بصوت هادي :

- أتمتعدين ان نوفريرت لم تلتق منيتها قضاء وقدرأ ، بل قذف بها

من شاق ؟

فشعرت باستياء اذا سمعت ما يدور بخلفها يقال أمامها فقالت :

- لا تقل ذلك !

فابتسم حوري وقال :

- ولكنني أعتقد ان الأفضل لنا أن نقوله ، ما دام يدور في خلدك ،

انك تمتعدين ذلك ، اليس كذلك ؟ وانت تحسبين ان سوبك هو القاعل ؟

ففكرت قليلاً وقالت :

- ومن غيره كان يفعل ذلك ؟ ألا تذكر يوم قتل الأفي ؟ الا تذكر ما

قاله يوم ماتت نوفريرت ، وهو خارج من القاعة الكبرى ..

- أجل اني أذكر ما قاله ، ولكن ليس الرجل القوال بالفعل دائماً !

- ولكن الا تمتعدين ان نوفريرت ماتت مقتولة ؟

- اجل ، اعتقد ذلك ، ولكنه على اي حال رأي من الآراء وليس بيدي

دليل ، وأحسب انه لن يوجد دليل ، ولهذا أغريت أحوثب بأن يقبل فكرة

موتها قضاء وقدرأ ، ان أحداً من الناس قد دفع نوفريرت ولكننا لن نعلم أبداً

من الذي دفعها ؟

- انظن انه لم يكن سوبك ؟

- لا أظن انه هو ، ولكن كما قلت لك ، لن نعرف من هو ويعسن بنا  
الا نفكر في الأمر .

وعادت فسألته :

- ولكن اذا لم يكن سوبك هو الذي دفعها ، فمن تظنه فعل ذلك ؟

فمزحورى رأسه وقال :

- ان عندي فكرة ، وقد تكون خاطئة ، ولذا يحسن الا اقول شيئاً ؟

- كيف ؟ الا يحذر ان نعرف الحقيقة ابداً ؟

- ربما . ربما كان الأفضل لنا الا نعلم ..

فأحست رنزنوب رجفة في جسمها وقالت :

- ولكن .. في هذه الحالة .. اني خائفة يا حورى ؟

\* \* \*

تمت المراسم الأخيرة لدفن نوفريت فأمسك مونتو أحد رهبان معبد  
هاتور مكنسة وأخذ يكنس بها أرض المقبرة وهو ينشد بعض الأناشيد  
الخاصة ليمحو آثار اقدم الأرواح الشريرة قبل أن يغلق الباب الى الأبد .

ثم ختم باب المقبرة ، ووضع مخلفات التحنيط من آنية النظرون والملح  
والحرق ، وكل ما مس الجسم .. في غرفة صغيرة مجاورة ختم عليها  
كذلك

وتنفس المحوقب الصمعداء ، لقد تم كل شيء كما ينبغي ، ودفنت  
نوفريت بالمراسم اللائقة ، وان كلفه هذا نفقات كثيرة لم تكن هناك حاجة  
اليها ، وبعد أن تبادل عبارات المجاملة مع الكهنة الذين استمادوا سميتهم  
الأرضية بعد ان انتهت مهمتهم المقدمة ، هبط الجميع الى الدار حيث

قدمت المرطبات ، ثم أخذ يتحدث مع كبير الكهنة في شأن التطورات  
السياسية الأخيرة .

كانت طيبة في تقدم مطرد لتصير مدينة قوية ، ولم يكن بمبدأ ان تتعد  
مصر مرة أخرى في ظل حكم ملك واحد ، وليس محالاً ان تستعيد عهد  
الأهرام المجيد .

وكان مونتو يتكلم باجلال عن الملك ( نب حبت - رع ) .. فهو جندي من  
الطراز الأول ، ورجل ذو تقوى ، ومن المسير على الشمال الذي انتشر فيه الفساد  
والرشوة أن يقاومه طويلاً إن الحاجة تدعو إلى ان تكون مصر موحدة ،  
ومعنى ذلك ان أمام طيبة مستقبلاً باهراً !

وانصرف الرجال الذين شهدوا مراسم الدفن وهم يتناقشون أيضاً ، في  
ذلك الشأن .

ونظرت رنزنوب خلفها إلى الصخرة ، وغرفة المقبرة المختومة ، فتمتمت  
قائلة :

- إذن هذه هي النهاية .

وشعرت بشعور الفرج ، فقد كانت تخشى شيئاً لا تدري كنهه ، وقد  
يكون اتهاماً او اعترافاً في اللحظة الأخيرة ، ولكن لم يحدث شيء من ذلك .  
ومضى كل شيء في هدوء .

وسمعت حنت عبارة رنزنوب ، فاقتربت منها قائلة :

- نعم ، أرجو ان تكون هذه هي النهاية حقاً يا مولاتي ا

فنظرت اليها رنزنوب وسألتها :

- ماذا تعنين يا حنت ؟

فتفادت حنت نظرتها ورددت :

- أقول اني آمل ان تكون هذه هي النهاية ، ولكن ما نحسبه النهاية  
لا يلبث أحياناً حتى يتضح إنه البداية !

فسألتها رنزنوب غاضبة :

- عم تتحدثين يا حنت ؟ ما الذي تريدن أن تقولي له ؟  
- ليس من عادتي التلميح بشيء ، إن نوفرت قد دفنت ، وكل إنسان راض ،  
ومن ثم سيكون كل شيء كما يجب ان يكون .

- هل سألك أبي عن رأيك في موتها ؟

- نعم سألتني يا مولاتي ، والحق انه عنى كثيراً بأن أبدي له رأيي كاملاً  
غير منقوص !

فعمدت تسألها :

- وماذا ذكرت له ؟

فردت حنت بقولها :

- لقد ذكرت له ، طبعاً ، إنني أظن موتها قضاء وقدرأ ، وأكدت له أن  
ليس هناك ما يدعو إلى الظن بأن أحداً من أفراد الأسرة قد مس الفتاة بأذى ؟  
لأنهم جميعاً أشد احتراماً له ، من أن يفعلوا ذلك ، وقد يتذمرون ولكنهم لا  
يزيدون على ذلك شيئاً .. وكذلك أكدت له انه لم يحدث أي شيء يمكن أن  
يعد من قبيل الهدوان .

- وهل صدقتك أبي ؟

فأرمات برأسها موافقة وقالت :

- إن أباك على يقين من اني مخلصه له ، حريصة على صالحه .. وهو  
دائماً ، يصدق ما تقوله حنت المعجوز .. إنه يقدرني أكثر مما يقدر أحداً  
منكم .. ولهذا ، أخلص له ، ولم جيمماً ، ولا أنتظر منكم جزاء  
ولا شكوراً ..

- هذا صحيح ، وقد كنت مخلصه له وفريت أيضاً !

- إن نوفريت لم تكن دامية إلى الحد الذي حسبته ، لقد كانت  
فتاة متكبرة ، تظن انها ملكت العالم .. إن عليها الآن أن تقنع قضائها

في العالم الآخر ، ولن يساعدها حسن وجهها هناك . وهي أي حال ، قد  
خلصنا منها !

ثم زادت الى ذلك أن همست قائلة وكأنها تحدث نفسها :  
- هذا ، على الأقل ، ما أرجوه !

\* \* \*

نظرت رنزنوب بعطف إلى أخيها يحموز حين جاءها ، وقد بدا عليه القلق ،  
ثم قال لها :

- أريد ان أحدثك عن سائبي ، يا رنزنوب . فقد اعترأها شيء  
لا أفهمه !

فهزت رنزنوب رأسها أسى وأسفاً ، ولم تجد كلمة عزاء تقولها فسكتت ،  
بينما واصل يحموز كلامه فقال :

- لقد لاحظت تغيراً إعتراها منذ حين ، إنها ترقع وتزحف ، كلما  
فرجت بصوت غير مألوف .. وقد صدفت نفسها عن الطعام ، وصارت  
تدب في المنزل ، وكأنها خائفة من ظلها ، لا بد انك لاحظت ذلك أيضاً ،  
يا رنزنوب

- أجل .. فقد لاحظناه كلنا .

- وقد سألتها : أتشعر بأنها مريضة ؟ . وهل أبعث في طلب طبيب  
يعالجها ؟ . فردت بأنها لا تشكو أي مرض ولا أي شيء .

ورأت رنزنوب ان عليها ان تقول لأخيها الأكبر شيئاً يخفف من قلقه  
ومخاوفه ، فقالت :

- إنها تصر على انها بخير ، ولا ينقصها أي شيء .

فتمتم يحموز قائلاً :



إنها لا تنكاد تجدد سبيلا إلى النوم ، فإذا حدث أن نامت فسرعان  
ما تستيقظ صارخة خائفة ، وتصرخ في نومها .. أترين انها تكن حزنا وما  
لا نعرفه ؟

فهزت رنزنب رأسها معارضة وقائلة :

- ليس هناك ما يدعو إلى مثل هذا الظن . فالأطفال بخير ، ولم يحدث في  
الدار ما يوجب الحزن فيما عدا وفاة نوفرت ، وهذه لا يمكن ان تثير في نفس  
ساتيبي أي حزن أو أسف .

- إن التغيير الذي حصل لها بدأ قبل وفاة نوفريت .

وبدا عليه انه ليس على يقين من ذلك فواصل كلامه قائلا :

- نعم .. هذا على ما أظن .. وأنت ؟ ألم تلاحظي تغيراً في ساتيبي قبل  
وفاة نوفريت ؟

- الحق إنني لم ألاحظه عليها إلا بعد هذه الوفاة .

فتنهد يحموز أسفاً وعاد يسألها :

... ألم تقل لك ساتيبي شيئاً .. أو ائقنة أنت ؟

فهزت رنزنب رأسها بحبيبة :

- كلا .. وإني لا أحسبها مريضة ، بل يخيل لي انها خائفة .

فبدت الدهشة في وجهه وقال :

- خائفة ؟ مم تخاف ؟ لقد كان لها دائماً شجاعة الأسد .

- أعرف ذلك . لقد كنا جميعاً نحسبها هكذا .. ولكن الناس يتغيرون ،  
وهذا أمر عجيب .

ولم يقتنع بهذا وسألها :

- أظن ان كيت تعرف شيئاً ؟ هل صارحتها ساتيبي بشيء ؟

- إنها أدنى الى ان تصارحها من ان تصارحني ، ولكني لا أظنها صارحتها  
بشيء ، بل إنني موقنة بهذا

- وما هو رأي كيت ؟

- كيت ؟ . إنها الآن لا تفكر في أي شيء .

وتذكرت رنزنب ان كيت انتهزت فرصة الوداعة التي طرأت على ساتيبي  
فاخذت لنفسها ولأطفالها أحسن الكتمان الذي تم نسجه أخيراً ، وهو ما كانت  
لا تجرؤ عليه ، لو أن ساتيبي بقيت على حالها ، بل كان المنزل يمتلئ  
بضجة الشجار .

إن كون ساتيبي تركت كيت تختار ما يروقها من القماش قد أثار دهشتها  
أكثر من أي شيء آخر ؟

ولهذا سألت أخاها يحموز :

- هل تحدثت إلى ايزا ؟ إن جدتنا تعرف النساء وطرائقهن .

فقال بشيء من الامتعاض :

- إن ايزا تحمد الرب على هذا التغيير الذي طرأ على ساتيبي وتقول ان من  
الغلو في التفاؤل ان نأمل دوامه .

فسألته بعد تردد :

- هل تحدثت مع حنت ؟

فقطب يحموز جبينه وقال :

- حنت ؟ . كلا . ما كنت لأحدث معها عن هذه الأمور . إنها تتدخل  
فيها لا يعميها ، وأبي يحرمها كثيراً .

- أعلم ذلك .. إنها متمبة .. غير انها تعرف كل سر .

- ألا تسألينها وتخبريني بما تقوله ؟

- لا بأس بذلك .

ثم افترقا على هذا .

ومضت رنزنب تبحث عن حنت حتى وجدتتها أخيراً على مقربة من سقيفة  
النسيج ، فلما سألتها عن حالة ساتيبي ، دهشت إذ وجدتتها تنزعج من هذا

السؤال ، وتلصص تيممة تحملها ، ثم تعزف عن الإفاضة في الحديث كما دعتها ،  
مكتفية بقولها :

- ليس هذا من شأني .. ليس من مهمتي ان ألحظ بقاء أحد هنا على حاله  
المألوفة أو تغيره .. إني لا أعني إلا بشؤوري الخاصة . وإذا كانت هناك مشاكل  
فإني لا أحب ان تكون لي يد فيها .

فسألتها رنزنوب :

- مشاكل ؟ أي مشاكل تقصدين ؟

فتمتعت حنث قائلة :

- لا شيء مما يعنيننا على اي حال ، إني أنا وأنت يا رنزنوب لم نفعل شيئاً  
يؤنبنا ضميراً من أجله . وهذا عزاء كبير لي .

- أتعنين ان ساتيبي ..

فقاطعتها حنث قائلة :

- لا أعني شيئاً مطلقاً يا رنزنوب .. وأرجو منك ألا تحاولي معرفة  
شيء مني اني لست أكثر من خادمة في هذه الدار ، وليس من شأني ان  
أبدي رأياً في أمور لا تخصني ، ولو سألتني رأيي عن ساتيبي ، فإني أقول  
لك ان التغيير الذي اعترأها هو خير ، وهي إذا بقيت على حالها الآن فهي  
تحسن صنعا .

ثم تركتها منصرفة إلى سقيفة النسيج وهي تقول :

- معذرة يا مولاتي ، أريد ان أتفقد سير العمل ، إن القامات بمهمة الرسم على  
الكتان يتكلمن ويضحكن كثيراً ، وهذا يؤثر في عملهن .

فبقيت رنزنوب تتابعها بنظراتها حتى اختفت داخل السقيفة . ثم عادت  
هي بخطى بطيئة إلى المنزل ، ودخلت غرفة ساتيبي دون ان تسمع هذه  
وقع خطاها .

فلما شمعت بيدها تلصص كنفها صرخت قائلة :

- لقد روعتني يا رنزنوب .. لقد فكرت ..

ثم سكنت دون ان تتم عبارتها ، فسألتها رنزنوب :

- ماذا دهالك يا ساتيبي ؟ إن يحموز قلق لأجلك .

- يحموز ؟ وماذا قال ؟

- هو قلق ، لأنك في نومك تصرخين وتتكللين .

فدعرت ساتيبي وسألتها :

- أنا اتحدث في نومي ؟ ماذا سمع مني يحموز ؟ ألم يخبرك بذلك ؟

- لا عليك ، يا ساتيبي ، هو وأنا لا نحسبك إلا مريضة ، او قلقة ،

لسبب ما ..

- قلقة ؟ ماذا يقلقني ؟ إني لا أدري .

- أسمعيدة انت يا ساتيبي ؟

فبغتت ثم ردت قائلة :

- ربما .. لا ادري .. ليس هذا هو المشكلة .

- كلا .. ولكنك خائفة ، اليس كذلك ؟

ف نظرت اليها ساتيبي شذراً واجابتها :

- ولماذا تقولين ذلك ؟ ولماذا أكون خائفة ؟ ما الذي يمكن ان

يخيفني ؟

- لا ادري ، ولكنه صحيح ، اليس كذلك ؟

فاستعادت ساتيبي يجهد ، سمات التبجح الذي كان لها ، من

قبل ، وقالت :

- كلا .. لست خائفة من شيء ، ولا من احد .. كيف تجرئين على قول

ذلك لي يا رنزنوب ؟ إني لا اسمح لك بالحديث عني مع يحموز ، إني أنا ويحموز

يفهم كل منا الآخر .

وسكنت لحظة ثم قالت بجدة :

-- إن نوفريت قد ماتت ، وقد خلاصنا منها وهذا ما أقوله ، ويمكنك ان تخبريه لكل من يسأل عن شعوري .

ثم تولاها الغضب فجأة من جديد ، فقالت بحدة أشد :

- نوفريت؟! نوفريت؟! لقد سئمت سماع هذا الامم.. ويجب ألا نسمعه بعد اليوم في هذا المنزل . ولنحمد الرب على ذلك !

وفي هذه اللحظة دخل يحموز ، فخفضت ساتيبي من صوتها ، ثم سكنت بينما قال لها هو :

- إهدئي يا ساتيبي ، إن أبي لو سمع هذا الذي تقولين لكانت العاقبة سيئة ، كيف تكونين بهذه الحماقة ؟

وكان يحموز يتكلم بلمهجة حازمة غير مألوقة منه ، فصرعان ما عاود ساتيبي ضعفها وانهارها وتمتت قائلة :

- إني آسفة يا يحموز ، وقد فاني حقاً ان أفكر في ذلك !

- إذن . كوني أكثر حذراً في المستقبل .. إن النساء دائماً ضعيفات العقل !

فتمتت ساتيبي مكررة أسفها في خضوع وخضوع ، ثم غادر يحموز الحجرة منصوب القامة وبخطى ثابتة ، وكان توكيده سلطته على زوجته قد أرضاه ..

وانصرفت بعده رنزنوب إلى غرفة ايزا المعجوز ، لعلها تجد عندها النبا اليقين !

وكانت ايزا تاكل عنباً فلم تتلق الأمر بجد واهتمام وقالت :

- ساتيبي؟! . ساتيبي؟! . ما هذه الضجة التي حرلها ؟ إن سلوكها هذا أحسن من ان يدوم ، إلا إذا استطاع يحموز أن يبقيا كذلك ! أجل إنه يبدو الآن كأنما استعاد ما غرّب من عقله ، وقد أحسن إذ أخذها بسياسة الضرب .. إن هذا ما كانت تحتاج اليه فلا شك في أنها من ذلك الطرز من

النساء اللاتي يحدن المتعة في الضرب ، ولا بد ان يحموز بوداعته ولينه كان امتحاناً قاسياً لها .

- إن يحموز أهل لأن يكون محبوباً .. إنه شفيق بالجميع ، وديع كأنه امرأة ، إذن كن وديعات .

- هذا استدراك في محله يا حفيدتي كلا . ليس بالنساء وداعة .. وقل بينهن من تهتم لزوج شفيق رقيق ، فأكثرهن يؤثرن الشاب الوسيم الجمعاج ، مثل سوبك ، أو الشاب الأنيق مثل كامني .. اليس كذلك ، يا رنزنوب ؟ . إن الذباب الذي بفناء الدار لا يستقر عليه كثيراً ، ثم انه يحسن غناه أغاني الحب أيضاً .

فشعرت بالدم يصعد إلى خديها وردت برزانة

- لا أدري ماذا تقصدين ؟

- إنكم جميعاً تحسبون ان ايزا المعجوز لا تعلم ما يدور بالمنزل ، لكنني أعرف كل شيء .

ثم نظرت إلى رنزنوب بعينها اللتين كادتا تعميان وقالت :

- نعم ، إني ربما أعرف كل شيء قبل أن تعرفي أنت شيئاً يا بنيقي ، هذه سبيل الحياة يا رنزنوب . لقد كان خاي أخاً صادقاً لك ولكنه يقود شراعه الآن في ميدان الهبات ، وستجد الأخت أخاً جديداً يصيد سمكه بالحراب في نهرنا ، وإن يكن كامني قليل البراعة ، فإن كل ما يخلب لبه قلم من البوص ورقعة من ورق البردي . ومع هذا فإنه شاب وجيه حسن الذوق في الأغاني ، ورغم كل ذلك لست موقنة انه الزوج اللائق بك ، فنحن لا نعلم كثيراً عنه ، وهو من أبناء الشمال . إن المحوتب راض عنه ولكنني أعتقد دائماً ان المحوتب أحق ، وأي إنسان يمكن ان يكسب ثقته بالزلفى ، أنظري إلى حنت مثلا .

- إنك مخطئة فيما تذهبين اليه يا جدتي .

- حسناً .. أنا مخطئة إذن ، وأبوك ليس أحق .

- لم أقصد هذا ، إني أتمنى ..

فقاطعتها جدتها قائلة :

- إني أفهم ما تعنين ، ولكنك لا تعرفين النكتة الجيدة . سوف تكونين هكذا فيما بعد حين تبلغين سنين .. ثم ترين ابنك يحن حباً بفتاة حسناء ، وترينها تجعل المنزل كله آذاناً مصفية .. لقد كانت داهية ، وكانت تعرف كيف تغيظهم جميعاً ، فكأنها كانت ترغهم على النظر إلى وجوههم في صفحة الماء ، وكانت تريهم كيف يبدوون للناس على حقيقتهم ، ولكن لماذا كرهتك يا رنزنوب ؟ أجيبني عن ذلك

فسألتها في دهشة :

- أكانت تكرهني ؟ لقد حاولت يوماً أن أكسب مودتها .

فأجابتها ايضاً :

- لكنني لم ترض . فقد كرهتك حقاً يا رنزنوب .

وسكتت ايضاً لحظة ثم قالت :

- أكان ذلك بسبب كامني ؟

فاحمرت وجنتا الفتاة وردت :

- كامني ؟ لا أدري ماذا تقصدين ؟

- ان نوفرت و كامني قد وفدا كلاهما من الشمال ، ولكن كامني كان يربك

كلما خطرت أمامه في فناء الدار .

وهنا استدارت رنزنوب للانصراف بغتة قائلة :

- يجب أن أذهب لأرى ابنتي .

ثم خرجت وسارت مسرعة ، في فناء الدار ، وضحكة جدتها تتبعها . فلما توسطت الفناء ، وصل إليها صوت كامني ، يناديها من الشرفة قائلاً :

- تعالي يا رنزنوب ، لقد الفت أغنية جديدة فيها اسميها .  
فهزت رأسها وأصرعت في طريقها ، وكان قلبها يدق دقا عنيها من الغضب .

\*\*\*

كرر حوري اسم رنزنوب مرتين قبل ان تسمعه وتنظر اليه ، بعد ان نظرت الى النيل متأملة بعمق ، ثم قال لها :

- لقد كنت مستغرقة في التفكير يا رنزنوب . ففهم تفكيرين ؟

فردت عليه متحدية :

- كنت أفكر في خاي .

فنظر اليها لحظة ثم ابتسم وقال :

- فهمت .

غير انها ادركت انه لم يفهم ، فقالت له :

- ماذا يحدث للانسان حين يموت ؟ أيعلم ذلك احد علم اليقين ؟ ان العبارات والرموز التي تكتب على الأكفان ، كلها من الغموض بحيث لا تعني شيئاً مطلقاً .. اننا نعرف ان أوزيريس قتل ، وان جسمه عاد فانضم بعضه الى بعض ، وهو يلبس التاج الأبيض ، ونحن من اجله لا نموت ، ولكن يا حوري يبدو لي أحياناً انه ليست ثمة حقيقة في كل ذلك ، وهو كله شيء مضطرب .

فأوما حوري برأسه موافقاً ، واستطردت هي قائلة :

- ولكن ماذا يحدث حقاً بعد الموت ؟ هذا ما أود لو أعرفه .

- لا يمكنني ان أجيبك يا رنزنوب .. يجب ان تسألني كاهنا في مثل هذه الأمور .

- انه لن يجيب الا بالشرح المعتاد . ولكنني أريد ان أعرف الحقيقة .

فقال حوري بلطف :

- لن يعرف أحد منا الحقيقة الا بعد أن يصير في عداد الأموات .

فارتجفت عند سماعها ذلك وردت :

- لا تقل ذلك .

- هل أزعجك شيء يا رنزنوب ؟

- اجل ، أزعجتني ايزا جدتي المعجوز .

ثم سكنت قليلا ، وثابتت قائلة :

- أخبرني يا حوري . هل كان كامني ونوفريت يعرف أحدهما الآخر

قبل مجيئهما الى هنا ؟

فصمت حوري هنيهة ، ثم قال وهو يثني صوب المنزل معها ، جنبيا

الى جنب :

- فهمت ، اذن .. هذا ما أزعجك ؟

- ماذا تعني بذلك ؟ . اني انما أسألك سؤالاً .

- اجل ، لكنني لا أعرف جوابا .. ان نوفريت وكامني كانا متعارفين في

الشمال ، واكرر لا ادري الى أي حد بلغ تعارفهما حينذاك . وهى اى حال

ماذا همنا ذلك الآن ؟

- لا أهمية له مطلقا ، ان نوفريت قد توفيت .

- اجل توفيت وحنطت وختم على قبرها .

ثم أضاف حوري بهدوء :

- كامني لا يبدو عليه الحزن لوفاتها .

- هذا صحيح .

وبعد لحظة قالت :

- آه يا حوري ، ان المرء يجد عندك الطمانينة .

فابتسم حوري وقال :

- لقد كنت أصلح الأسد الخشبي لرنزنوب وهي طفلة . والآن عندها

دمى أخرى .

ولما وصلا الدار لم ترد الدخول وقالت :

- لا أود ان أدخل الدار الآن ، اني أبغضهم جميعا ، لا أعني البغض

الحقيقي . ولكنني أشعر بكرهية لهم ، لأن كل واحد منهم شاذ ، وأنا

قد نفد صبري . ألا نصعد الى المقبرة ؟ انه مكان جميل هناك .. فوق

كل شيء .

- وهذا ما أشعر به انا ايضا يا رنزنوب ، فهناك يرى المرء ان الدار

والمزرعة والزراعة كلها قليلة الأهمية ، فننظر الى ما وراءها كلها الى النهر وما

وراءه ، الى مصر كلها ، لأنه قريبا ستصبح مصر ثانية مملكة واحدة قوية

عظيمة ، كما في القديم .

فتمتمت هي متسائلة :

- وهل هذا أمر مهم ؟

فابتسم حوري وقال :

- طبعا ، لا هم سيدتي الصغيرة ، انما همها أسدها وحدها .

- انك تسخر مني ، اذن فالأمر مهم بالنسبة لك ؟

فتمتم حوري قائلا :

- ولماذا همني ؟ اجل ، لماذا ؟ . اني لست الا وكيل أعمال كاهن كا .

فلماذا همني ان تكون مصر كبيرة ام صغيرة ؟

فلفقت رنزنوب نظره الى صخرة فوقهما قائلة :

- لقد ذهب يحموز وساتيبي الى المقبرة ، وهما يبطلان الدرب الآن .

فقال حوري :

وكان يحموز متقطع الأنفاس ، لا يكاد يقدر على الكلام ، فأجاب بكلمات متقطعة قائلاً :

- لقد نظرت ورائي .. من فوق كتفي .. كأنها ترى أحداً قادماً ..  
ولكن لم يكن أحد هناك ..  
فردد حوري قوله :  
- لم يكن أحد هناك ..

واستأنف يحموز كلامه وقد انخفض صوته حتى صار همساً ، لفرط ما اعتراه من الرعب فقال :

- وعندئذ صاحت و  
فقطعت رنزنب كلامه سائلة في لهفة :  
- ماذا قالت ؟  
فأجاب بصوت مرتعش قائلاً :  
- صاحت قائلة .. نوفريرت .. نوفريرت !

- أجل ، فقد كانت هناك بعض أشياء يجب أن تزال ، بعض لفات من الكتان لم يستعملها المهنطون ، وقد قال لي يحموز انه سيأخذ ساتيبي إلى هناك لتدله على ما يمكن أن يعمله بذلك القماش .

ووقف الاثنان ينظران إلى يحموز وساتيبي وهما يهبطان الدرب ، فلما بلغا بقعة هناك توقفا قليلاً ، وكانت ساتيبي تسير إلى الأمام ويحموز خلفها على مسافة قريبة .

وفجأة أدارت رأسها ملتفتة إليه كأنما تحدثه ، وهنا خطر ببال رنزنب ان هذه البقعة هي التي سقطت فيها نوفريرت سقطتها الأخيرة ، كما خيل اليها ان ساتيبي إنما التفتت إلى يحموز لتحدثه بذلك .

ولكن ساتيبي وقفت في مكانها جامدة ، وأخذت تنظر إلى الدرب خلفها ، ثم رفعت ذراعيها كأنما لتتلافى منظرأ مخيفاً او لتصد ضربة ستزل بها ، ثم صاحت ، فتمثرت ، وجرى يحموز اليها ، وإذا بها تصرخ صرخة مدوية ثم تندفع إلى طرف الطريق وتهوي منه إلى الصخور السحيقة !  
ورأتها وهي تسقط ، فسكادت ألا تصدق عينيها ، لكنها جرت بأقصى قوتها صوب المكان الذي سقطت ساتيبي فيه جثة هامة محطمة حيث رقد جثمان نوفريرت من قبل .

وكان يحموز قد جرى كذلك هابطاً الدرب حتى وصل إلى ذلك المكان ، ثم انحنى على جثمان ساتيبي فرأت عينيها مفتوحتين وأهدابها تضطرب ، وشفتيها تتحرك كأنها تريد ان تقول شيئاً ، فامتلت رعباً من نظرتها .  
ثم استطاعت ساتيبي أن تقول بصوت واهن : « نوفريرت » .. وسقط رأسها إلى الخلف وهبط فكها ، وكان هذا آخر عهدا بالكلام .

ورقف حوري بجانب يحموز أمام جثمان ساتيبي واجمين .  
وقالت لأخيها :

- ماذا قالت قبل ان تسقط ؟

غير ما الفتها ، كانت خائفة ، وحاولت ان تفريني بالعودة معها ، ولا شك  
انها كانت لا تحب أن اعثر بجثة نوفريرت ، لا ريب اني كنت عمياء إذ لم أر  
الحقيقة وقتئذ .. ولكني كنت لا اتوقع ما حدث إلا من سوبك .

- إني اعرف هذا ، فقد دعاك إلى إساءة الظن به انه قتل الأفعى  
- اجل ، ثم رأيت في المنام رؤيا . مسكين سوبك .. لقد أسأت الظن  
به .. وكما قلت انت ان الوعيد غير الفعل ، لقد كان سوبك دائماً كثير  
الكلام والفخر ، وساتيبي هي التي كانت جريئة ولا تهاب شيئاً ، ثم تذكر  
كيف صارت منذ ذلك الحين تسير كالشبح ، حتى حزنا جديماً في أمرها ،  
لماذا لم ننتد إلى التفسير الصحيح ؟

وسكنت تنتظر ما يقول ، ثم استأنفت كلامها قائلة :  
- انت قد اهديت اليه .

- الواقع اني بقيت فترة من الزمن وأنا موقن بأن مفتاح الحقيقة في امر  
وفاة نوفريرت إنما هو التفسير المعجيب الذي اعترى ساتيبي ، لقد كان شيئاً  
يلفت النظر ولا بد ان له باعناً .

- لكنك بقيت ساكناً ؟

- وماذا استطيع قوله ، واي دليل كان بيدي ؟

- صدقت ، لم يكن هناك أي دليل ..

- إن الأدلة يجب ان تكون وقائع ثابتة بجسمة .

والتفتت الى حوري متسائلة :

- ما الذي رأته ساتيبي هناك في الدرب ؟ إننا نحن لم نر أي شيء .

- لكنها هي رأت شيئاً ولا شك ، ولعلها رأت نوفريرت مقبلة لتفتقم  
منها . ولكن نوفريرت توفيت وختم على قبرها .. فما الذي رأته  
ساتيبي إذن ؟

- لا بد إنها رأت الصورة التي ارتسمت في مخيلتها لنوفريرت .

قالت رنزنوب لحوري وهي جالسة عند مدخل الغرفة الصخرية الصغيرة  
المجاورة للمقبرة ، تنظر الى الوادي السحيق مسندة ذقنها إلى يديها :

- إذن هذا ما كانت تعنيه ؟ إن ساتيبي هي التي قتلت نوفريرت !  
وكان حوري ما زال ساكناً ، ولم يجب عن سؤالها ، فلم يسمعها إلا أن  
تتابع خواطرها علناً ، قائلة له :

- لقد كنت موقنة ان سوبك

لكنها لم تتم عبارتها فقال لها حوري :

- اجل ، كان هذا رأياً مبتسراً يا رنزنوب .

فأومات برأسها موافقة قائلة :

- كان حماقة مني ولا شك ، ولقد أخبرتني ، او تركتني افهم ان  
ساتيبي سلكت هذه الطريق ، بعد أن سبقتها اليه نوفريرت ، وهناك  
تقابلتا وسط الدرب ، ودفعت ساتيبي نوفريرت دفعة قوية مفاجئة فهوت  
متريدة من حالق ، وكانت قد ذكرت قبل ذلك بقليل انها أكثر رجولة من  
أخوي الاثنين !

وسكنت وقد تولتها رعدة ، ثم قالت :

- كان ينبغي لي أن أدرك ما حدث منذ قابلتها بعد ذلك ، فقد كانت

- اوافق أنت من صحة احتمال هذا؟ إن الأمر إذا لم يكن هكذا  
ثم سكنت ولم تكمل عبارتها، فنظر إليها متسائلاً، وأرهف سمعه لستم  
كلامها فقالت:

- أترى الأمر قد انتهى الآن يا حوري بعد ان توفيت سانيبني؟ هل  
انتهى حقاً؟  
فأمسك يديها بين يديه مطمئناً وقال:

- أجل يا سيدتي، ولا شك انك على الأخص لا ينبغي لك ان  
تخافي شيئاً؟

- لكن إيزا تقول أن نوفريرت كانت تكن لي البغض؟

فبدت الدهشة في وجهه وقال:

- نوفريرت كانت تبغضك؟

- هذا ما قالته لي إيزا.

- لقد كانت بارعة في البغض، وكنت أحسبها أحييماً تبغض كل شخص

بالدار، ولكنك على الأقل لم تؤذيها بشيء.

- أجل، لا أذكر اني آذيتها قط.

- من أجل هذا ليس في تخيلتك شيء، يقوم ضدك؟

ففكرت هنيهة ثم سألته:

- أتعني اني إذا مشيت في ذلك الدرب وحدي عند الغروب، وهو الوقت

الذي توفيت فيه نوفريرت، فاني أكون في أمان؟ ولا أرى شيئاً يخيفني إذا

التفت خلفي؟

- أجل، ستكونين في امان، لأنك اذا سرت في ذلك الدرب فأسير

معك ولن يصيبك مكرره.

فقطبت جبينها وهزت رأسها قائلة:

- كلا، بل سأسير وحدي.

- ولكن ألا تخافين إذا سرت وحدك في الدرب؟

- أحسبني سأخاف، ومع هذا يجب ان اسير وحدي هناك، ان جميع  
من بالدار قد تولاهم الرعب، وهم يهرعون إلى المعابد لشراء التائم والتعاويد،  
وبعذر بعضهم بعضاً من سلوك طريق المقبرة عند الغروب، على ان السحر فيما  
اعتقد ليس هو الذي جعل سانيبني ترمي بنفسها من شاهق، وانما الخوف،  
الخوف من شر صنعمته.

وصممت لحظة، ثم استطردت قائلة:

- أجل انه لشر ذلك الذي اتته بقتلها فتاة في عنفوان شبابها وقوتها  
واستمتاعها بالحياة، اما انا فلم آت مثل هذا الشر، واذا كانت نوفريرت  
تبغضني فلانها لا تستطيع ايذائي، هذا ما اعتقد، وعلى اي حال اذا قدر  
لإنسان ان يعيش حياته في خوف فخير له ان يموت.. ولهذا سأتغلب على  
الخوف.

فابتسم حوري وقال:

- هذه كلمات تدل على الشجاعة يا سيدتي؟

- أجل، انها تدل على الشجاعة، ولكن الواقع ان شجاعتي اقل مما  
تصورت.

ثم ابتسمت له وقامت من مقعدها قائلة:

- على اي حال، لقد ارتحت اذ قلتها..

فقام حوري ووقف بقربها وقال:

- سأذكر لك هذه الكلمات.. وكيف رفعت رأسك الى الخلف وانت  
تقولينها.. فتدل على الشجاعة والصدق اللذين شعرت دائماً بأنهما يعمران  
قلبك.

- أحسبني ادركه يا حوري. انك تختلف عن الآخرين ممن معنا في  
الدار، وقد ادركت ذلك من زمن، واحياناً حين اكون معك أشعر بمثل



شعورك ، ولكنه شعور غامض غير واضح هل اني افهم ما تعني ، وانا  
اذ اكون هنا لا ابالي شؤون الدار هناك ، بما فيها من شجار وبغضاء وضجيج ،  
فها هنا يفر الانسان من كل ذلك ؟

وسكنت وقد تجعد جبينها ثم اردفت قائلة بنردد :

- اني احيانا اشعر بالسرور لفراري من المنزل الى هنا ، ومع هذا اشعر  
بان في المنزل شيئا يناديني اليه .

فترك حوري يدها وتراجع قليلا الى الورا وقال برفق :

- اجل ، اني افهم ، فهو كامنى اذ يغنى في صحن الدار ؟

فتفرت قائلة :

- ماذا تعنى يا حورى ؟ فلم اكن افكر في كامنى ..

- ربما لا تفكرين فيه ، ومع هذا يا سيدتي بخيل الى انك تسمعين غناه

من حيث لا تدريين ؟

فحملت فيه رنزنب عابسة وتمتمت :

- ما اغرب ما تقوله يا حوري . ان الانسان لا يمكن ان يسمعه من هنا

وهو يغني في صحن الدار .. فان المسافة جد طويلة .

فتنهد حورى وهز رأسه ، وحيرتها نظرنه كما حيرها قوله ، وشمرت بشيء

من الغضب والدهشة لانها لم تفهم ما يعنيه .

\* \* \*

وقفت حنث بباب غرفة ايزا مبتسمة ابتسامة التودد وسألتها :

- اتسمعين ان اكلمك لحظة يا ايزا ؟

فسألتها المعجوز بحدة

- ماذا تريدين ؟

فردت حنث قائلة :

- لا شيء ذا خطر ، فيما اعتقد ، ولكني أردت ان أسألك عن

بعض أشياء .

وأرمأت ايزا اليها بأن تدخل . ثم ربتت بعصاها كتف جارية سوداء

كانت تنظم قلادة من الخرز قائلة :

- إذهبي إلى المطبخ ، واثثيني ببعض الزيتون .. ثم أعدي لي

كوب ليمون .

فسارعت الجارية إلى المطبخ ، بينما أشارت ايزا إلى حنث لكي

تقترب منها ، ثم نظرت اليها متسائلة ، وما لبثت هذه أن أخذت من

جيبها علبة صغيرة للحلى ذات غطاء بفلق بوزين ، ومدت بها يدها إلى

ايزا قائلة :

- لقد جئت اليك من أجل هذه العلبة يا ايزا .

فأخذت تنظر بعينيها الضيقتين ، قارة إلى العلبة وقارة إلى حنث ، ثم قالت

هذه بعد قليل :

- إنها علبتها .. وقد وجدتها الآن في غرفتها .

- أتقصدين ساتيبي ؟

- كلا .. كلا .. بل أقصد الأخرى .

- نوفريرت ؟ . وأية أهمية لذلك ؟

- إن كل حلبيها وأوعية زينتها وأوعية عطورها قد دفنت معها ،

كما تعلمين .

ففككت ايزا رباط العلبة من زرعها ، وأخذت منها خيطاً نظم به حبات

عقيق أحمر ونصف خرز أخضر لامع إنكسر شطرين ثم قالت :

- إنه ليس شيئا ذا قيمة . ولعله لذلك لم يدفن معها ؟

- لكن المهنطين أخذوا كل شيء يخصها .

- لا بد أنهم نسوا هذا ، ألا يسهون مثل غيرهم من البشر ؟  
- لكنني متأكدة يا ايزا ان هذه العلبة لم تكن موجودة في غرفتها حين  
فتشتها آخر مرة .

فنظرت اليها ايزا نظرة فاحصة قائلة :

- ماذا ترمين اليه يا حنت ؟ أتريدين أن تلقني في روعي أنها عادت  
من العالم السفلي وانها موجودة الآن بالدار ؟ . إنك لست بلهاء حقيقة وإن  
كنت أحياناً تدعين البلاهة . على إني لا أدرك ماذا همك من نشر قصص  
السحر السخيفة ؟

فهمت حنت رأسها بتطير قائلة :

- نحن جميعاً نعلم ما حدث لساتيمي ، ونعلم السبب .

- قد يكون هذا صحيحاً ، ولعل بعضنا كان يلمه من قبل . اليس كذلك  
يا حنت ؟ . فقد كنت دائماً أحسبك تعرفين عن الطريقة التي توفيت بها نوفريت  
أكثر منا جميعاً .

- إنك يا ايزا لا يمكن ان تتصورى لحظة أن .

فقاطعتها ايزا قائلة :

- ماذا أتصور ؟ . إني لا أخاف من تصور شيء يا حنت ، فقد شهدت  
ساتيمي في الشهرين الأخيرين ، تدب في المنزل والخوف يكاد يقتلها ، وخطر  
ببالي منذ حين ان ما صنمته بنوفريت ربما وقف على سره أحد ، فهددها بافشاء  
السر ليحموز او لأحوتب نفسه .

فأخذت حنت تؤكد انها لم تكن تعلم شيئاً فقالت لها ايزا :

- إني لم أتصور قط ان تعترفي بأنك تفعلين مثل هذا .

- ولماذا أفعله ؟ ليس ثمة أي داع اليه .

- الواقع انك ، يا حنت ، كثيراً ما تفعلين أشياء ، لا أجد لها

تفسيراً .

فتحفظت حنت للانصراف قائلة :

- سأخذ العلبة إلى أحوتب وأخبره .

- سأعطيها العلبة بنفسي أغربي عني يا حنت وحذار ان تخبري قصصك  
الخرافية ، فقد أصبح المنزل أكثر سكوناً بعد ساتيمي ، ونوفربت الميتة قد  
أفادت أكثر منها حية ، والآن وقد تم الوفاء بالدين فليعد كل إنسان إلى  
واجباته اليومية .

ومضت ايزا في القاء تعليماتها ونصائحها بأعلى صوتها ، ثم انصرفت حنت ،  
وبعد دقائق جاء أحوتب إلى غرفة أمه وقال لها :

- ما هذا كله ؟ إن حنت في شدة الكدر .. فقد جاءت إلي ودموعها  
تنحدر على وجهها .. لماذا لا تحظى هذه المرأة المخلصة حق المجاملة المعتادة من  
أي أحد في هذا المنزل ؟

فلم تتحرك ايزا ، ولم تجب ، وإنما ضحكت ضحكتها التي تشبه  
نق الدجاج .

فاستطرد أحوتب قائلاً :

- قد اهتمتها بسرقة علبة حلي ، على ما فهمت .

فأجابته أمه :

- أهذا ما قالت لك ؟ . إني لم أهتمها بذلك ، وها هي ذي العلبة . يظهر  
انها وجدت في غرفة نوفريت .

فأخذ أحوتب العلبة ونظر اليها وقال :

- إنها العلبة التي أهديتها اليها

ثم فتحها وقال :

- ليس بها شيء ذو قيمة ، فقد كان المخططون جد مهملين ، إذ لم يأخذوها  
مع الأشياء الأخرى التي تخصها ، حيال الأجور الفادحة التي يطلبها ابي ومونتو  
كان جديراً بماله على الأقل ألا يكونوا بهذا الاهمال ، وعلى أي حال يبدو لي

أن الأمر ليس بالأهمية التي وصف بها .

ثم تابع :

- إني كنت مرافحاً لسلوك يحموز ، في المدة الأخيرة .. فهو يبدو أكثر اعتماداً على نفسه ، وأقل خوفاً ، وكان تصرفه حسناً ، في كثير من الشؤون .

- الواقع انه دائماً ولد طيب مطيع

فأوماً المحوتب برأسه موافقاً وقال :

- أجل ، ولكنه ميال إلى البطء ، ويخاف ان يحمل التبعات .

فأجابته ابزا يجفاء :

- إنك لم تسمح له قط بأن يحمل التبعات .

- حسناً .. سيتغير كل ذلك عما قريب ، فإني أعد الآن ، وثيقة

لإشراك أولادي الثلاثة في كل ما أملك ، وسينتهي إعداد هذه الوثيقة ، بعد أيام

- إذن سيكون ابني شريكاً لك مع أخويه ايضاً ؟

- أجل .. ولو إني لم أدخله في الشركة لآذاه ذلك وهو فق جدير بالحب

والإعزاز .

فأجابته أمه ساخرة :

- لا بد انه لا يمكن ان ينسب اليه البطء .

فلم يتم المحوتب كلامه وخرج مسرعاً .

- ٨ -

عادت الأسرة من المحكمة المركزية ، حيث سجل عقد الشركة ، وكان أفرادها جميعاً في نشوة الفرح ، ما عدا ابني الذي استثنى من الشركة في اللحظة الأخيرة بحجة صغر سنه ، ولذا كان عابس الوجه ، وغاب عن المنزل عمداً .

وكان المحوتب مبتهجاً ، وقد أمر باحضار جرة من النبيذ إلى الشرفة ، وقال ليحموز وهو يربت كتفه :

- إشر يا بني وانس الآن حزنك على زوجتك ، ودعنا لانفكر إلا في الأيام السعيدة المقبلة .

وشرب المحوتب ويحموز وسوبك وحموري نخب تلك المناسبة السارة . ثم جاء نبأ بأن ثوراً قد سرق ، فهب الرجال الأربعة مسرعين إلى المزرعة للبحث عنه .

ولما عاد يحموز إلى فناء الدار ، بعد ساعة تقريباً ، كان متعباً ، يشكو من الحر ، فذهب إلى حيث يوجد النبيذ وملاً منه كأساً برونزية ، ثم جلس في الشرفة يحتسيه . وبعد حين وجيز جاء سوبك مسروراً ، وقال له :

- زدني من النبيذ .. لنشرب نخب مستقبلاً الذي ضمناه أخيراً ، ولا بد

ان هذا يوم فرح لنا يا يحموز .

- حقا . ستكون حياتنا أيسر من قبل من جميع الوجوه

- إنك دائما ذو قصد في عواطفك يا يحموز .

ثم ضحك وتناول كأسا فتجرع ما فيها ، ولعق شفثيه بلسانه ، وهو يضعها جانبا .

وما لبث ان قال :

- لئلا الآن أبقى أبونا على طريقه العتيقة ، أم نستطيع إقناعه باتباع

الطرق الحديثة ؟

- لو اني مكانك لصبرت ، ولكنك دائما متسرع .

فابتسم سوبك لأخيه إبتسامه ود . فقد كان في ذروة السرور . فقال

له مداعبا :

- أنت تعمل بالمثل القائل « من تأني نال ما تمنى » .

- هي الوسيلة المثلى في النهاية . ثم لا تنس ان أبانا كان شقيقا بنا ، فلا

ينبغي لنا ان تأتي ما يفضبه .

فنظر سوبك اليه متسائلا وقال :

-- هل تحب أباك حقا ؟ انك شخص ودود يا يحموز . أما أنا فلا أكثر

لأي أحد ما عدا سوبك نفسه حياه الله وأبقاه .

وتناول سوبك جرعة اخرى من النبيذ .

فقال له يحموز بمطف :

- كن حذراً . إنك لم تأكل إلا قليلا اليوم .. وأحيانا حين يشرب

المرء نبيذاً .

غير انه أمسك ولم يتم كلامه ، فسأله سوبك :

- ماذا بك يا يحموز ؟

- لا شيء .. إنه ألم مفاجيء . لكنه لا شيء .

ولكنه رفع يده ، ومسح جبينه الذي بدأ يتصبب منه العرق .. فقال

له سوبك :

- انك لا تبدو بحالة جيدة .

- قد كنت بخير حال إلى ما قبل هذه اللحظة .

فضحك سوبك وقال

- ما دام النبيذ لم يسممه أحد ..

ومد يده إلى آنية النبيذ ، غير ان يده جمدت ، ومال جسمه إلى الأمام ،

وهو يتشنج من الألم ، وقال بصوت واهن :

- يحموز .. يحموز .. أنا أيضا .

وقام يحموز مسرعاً ليرى ما دهي أخاه ، ولكنه سقط على الأرض وقد

انحنى جسمه وصاح صيحة مكتومة .

واشتد الألم بسوبك ورفع صوته قائلاً :

- الفوئ . اطلبوا طبيباً .. طبيباً ..

وجاءت حنث من داخل الدار تجري قائلة :

- هل ناديت ؟ ماذا قلت ؟ ماذا حدث ؟

وجاء الآخرون على صياحها ، فوجدوا الأخوين يثنان من الألم . وقال

يحموز بصوت ضعيف :

- النبيذ . سم . طبيب ..

وصاحت حنث قائلة .

- شر جديد بالدار .. إن هذا المنزل قد حلت به اللعنة . أسرعوا .

أسرعوا .. إبعثوا رسولاً إلى المعبد ، ليحضر الكاهن مرسو .. إنه

طبيب بارع .

\* \* \*

كان المحوتب يذرع ارض القاعة الوسطى بالدار ذهابا وجيئة ، وقد تحمل  
رداؤه الكتفاني الفخم واتسخ ، ولم يستحم او يغير ثيابه ، وكان الالم والخوف  
باديين على وجهه .

وهناك من أقصى الدار ، كانت تصل الى سمعه ، ولولة النساء  
ونديهن ، بعمد الكارثة التي حلت بالأسرة ، وكانت حنت تحذوهن في  
النواح والندب .

ومن غرفة جانبية كان ينبعث صوت مرسو الكاهن الطبيب وهو منحن  
فوق جسم يحموز الهامد .

وقد تساللت رنزنوب من جناح النساء إلى القاعة الوسطى ، بعد ان جذبها  
ذلك الصوت ، ثم مضت الى باب الغرفة ووقفت به وقد غمرها شعور الطمأنينة  
من سماع ترقيل الكاهن وهو يدعو قائلاً :

- يا ايزيس يا عظيممة السحر ، اطلقيني مما انا فيه ، ونجيني من كل سوء  
احمر ، ومن ضربة رب او ربة ، وخلصيني من اذى ميت او ميتة ، وأنقذيني  
من كل عدو ذكر او انثى .

وكانت رنزنوب تردد الدعاء بقلبيها قائلة :

- يا ايزيس العظيمة : انقذيه .. انقذي اخي يحموز .

وقارت الخواطر في ذهنها مضطربة . إذ سمعت الكاهن يردد  
دعائه :

- ونجني من كل سوء احمر .

وقالت توصل تلك الخواطر وتخطب الشخص الذي في ذهنها :

- ان يحموز لم يؤذك قط يا نوفريرت . واذا كانت ساتيبي زوجته  
فإنه لا يؤخذ بجريرتها ، وهو لم تكن له سيطرة عليها قط ، ولا لاحد  
سواه .. ان ساتيبي التي آذتك قد توفيت . افلا يكفيك هذا ؟ . وسوبك  
ايضا ، قد مات . ولم يفعل سوى انه تكلم في حقك ، ولكنه لم يؤذك

مطلقا . يا ايزيس : لا تدعي يحموز يموت ، انقذيه من بغض نوفريرت  
وانتقامها .

وكان المحوتب يروح ويغدو شارد الذهن ، فلما رأى ابنته غمره الحنان  
وقال لها :

- تعالي هنا ، يا بنيتي العزيزة .

فجرت اليه وأحاطته بذراعيها قائلة :

- آه يا أبي ماذا يقولون ؟

- يقولون أن هناك أملاً في إنقاذ يحموز . أما سوبك ، ولدي القوي

الوسيم ..

وغلبته العبرات فسكت . فقالت له ابنته :

- ألا يمكن عمل أي شيء ؟

- لقد عملنا كل ما أمكننا عمله ، فجرعناه أدوية مقيمة ، وعصير بعض  
الأعشاب القوية ، وجئناه بالتائم ورتلت الأدعية والصلوات ، ولكن كل ذلك  
دون جدوى . إن مرسو طبيب بارع ، فإذا لم يستطع إنقاذ ولدي فان معنى  
ذلك ان الرب لم يرد إنقاذه !

وارتفع صوت الكاهن الطبيب بدعاء أخير ، ثم خرج من الغرفة يمسح العرق  
من جبينه فقال له المحوتب :

- ماذا هناك ؟

فأجاب الكاهن في جد وقور قائلاً :

- بفضل الرب سيعيش إبنك ، إنه ضعيف ولكن أزمة السم قد واثت ،  
وقد بدأ تأثيره في الانحلال !

ثم أردف الكاهن قائلاً :

- من حسن حظ يحموز انه شرب من النبيذ المسمم أقل مما شرب أخوه .  
يبدو انه رشفه رشفاً ، بينما تجرعه سوبك جرعة واحدة .

فتأوه المحوتب وقال :

- هذا هو الفرق بينهما . يحموز دائماً هيباب حذر ، متريث في كل شيء حتى في أكله وشربه . أما سوبك ، فكان دائماً مفرطاً غير متبصر ، مع الأسف !

ثم سأل الكاهن :

- أكان النبيذ مسموماً حقاً؟

فأجابته هذا بقوله :

- لا شك في ذلك يا المحوتب . فقد جرب مساعداي بقايا النبيذ في بعض الحيوانات فنفتت بعد حين .

- لكنني شربت من النبيذ نفسه قبلهما بساعة فلم يحدث لي شيء!؟

- لا شك انه لم يكن قد وضع به السم وقتئذ ، بل أضيف اليه

فيما بعد .

فضرب المحوتب كفاً بكف ثم هز مقبضه قائلاً :

- لا يجرؤ أحد حي ان يسمم أبنائي هكذا تحت سقف بيتي . إن مثل

ذلك محال ، لن يجرؤ احد حي على ذلك .

فاكتفى الكاهن بأن قال :

- إنك أدري بذلك يا المحوتب

- هناك قصة أريد ان تسمعها .

ثم صفق بيديه فجاء أحد العبيد ووقف أمامه فقال له

- أحضر الغلام الراعي إلى هنا .

ولما انصرف العبد التفت إلى الكاهن وقال له :

- إن الغلام الراعي الذي بعثت في طلبه ليس كامل العقل وهو يفهم بصعوبة

ما يقال له . ولكنه مع هذا له عينان يرى بهما جيداً ، ثم هو إلى ذلك شديد

الإخلاص ليحموز لأنه يعامله بلطف ويعطف عليه .

وعاد الخادم ممسكاً بيده غلاماً نحيلاً شديد السمرة ، وعليه ثياب خلقة ، والخوف مرتسم على وجهه . فالتفت المحوتب إلى الغلام وقال له في لهجة شديدة :

- يجب ان تتكلم وان تعيد الآن كل ما قلته لي .

فبدأ التردد والوجل في وجه الغلام ، وعبثاً حاول المحوتب حمله على الكلام بالتهديد والوعيد ، ثم جاءت ابنا تتوكاً على عصاها وقالت لابنها :

- إنك تخيفه يا ابني .

ثم نادت رذنوب ونازلتها بعض الثمار لتعطيه للغلام ، فأعطته إياه ، ثم اقتربت ابنا من الغلام وهو ما زال يردد بصره خائفاً حائراً بينهم ، وأخذت بلطفته لتشجعه على الكلام قائلة :

- لا تخف شيئاً ، وقل لنا ماذا رأيت حين مررت بباب الفناء أمس .  
هيا .. ماذا رأيت ؟

فهز الغلام رأسه ثم أطرق وهو يتمتم قائلاً :

- أين سيدي يحموز ؟

فقال له الكاهن بلطف :

- إن سيدك يحموز هو الذي يريد منك ان تقص علينا ما تعرفه . لا تخف لن يؤذيك أحد .

- إن سيدي يحموز رحيم بي . وأنا أفعل ما يريد .

ثم سكت ، فبدأ على المحوتب ان صبره قد نفذ ، ولكن الكاهن نظر اليه نظرة تحته على الصبر وفجأة بدأ الغلام يتكلم بشكل عصبي متقطع وهو ينظر حواليه ، وكأنه يخشى ان يسمعه أحد لا يراه . فقال :

- إن الحمار الصغير .. الذي يحميه « سيث » والذي هوى الأذى ، جريت وراءه بالعصا .. فولج البوابة الكبيرة ودخل فناء الدار .. فنظرت من خلال البوابة إلى الدار .. ولم يكن أحد بالشرفة ولكن كان هناك دن النبيذ .. ثم

جاءت امرأة .. وهي سيدة من سيدات الدار . إلى الشرفة قادمة من داخل الدار ، ومضت إلى دن النبيذ ، وبسطت كفيها فوقه .. وبعدئذ . بعدئذ عادت إلى الدار .. كما أظن .. لا أدري .. لأنني سمعت في تلك اللحظة وقع أقدام ، ونظرت فإذا بسيدي يحموز قد عاد من الحقل . ولذا مضيت أبحث عن الحمار .. وجاء سيدي يحموز إلى فناء الدار .

فصاح به المحوتب :

- لماذا لم تحذره ؟ لماذا لم تقل شيئاً ؟

قال الغلام :

- لم أعلم أن في الأمر شيئاً .. إني لم أر إلا السيدة واقفة أمام دن النبيذ باسطة فوقه كفيها وهي تبسم .. لم أر شيئاً .

فسأله الكاهن :

- أتعرف السيدة ؟

- كلا . لا بد أنها واحدة من سيدات الدار . إني لا أعرفهن .. إني أرى الغنم في طرف الحقل . لقد كانت ترتدي ثوبا من كتان مصبوغ .

فقال له الكاهن وهو يمين فيه النظر :

- ربما كانت خادمة .

فمز الغلام رأسه وقال :

- كلا . لم تكن خادمة .. فقد كانت على رأسها شعر مستعار ، وكانت تلبس حلياً .. والخادمة لا تلبس حلياً .

فسأله المحوتب :

- حلي ؟ أي نوع من الحلي ؟

فقال الغلام بلهفة وثقة وقد سيطر على ما كان به من خوف :

- ثلاثة خيوط من الحرز مع أسود ذهبية تتدلى منها .

فضربت ايذا بمصاها الأرض وصرخ المحوتب صرخة مكتومة .

وقال له الكاهن :

- حذار ان تكون كاذباً يا ولد .

- لم أقل إلا الحق .

وعندئذ صاح يحموز من الغرفة المجاورة حيث كان راقداً :

- ما هذه الضجة ؟

فاندفع الغلام الى غرفة يحموز وصاح به :

- يا سيدي يحموز : إنهم يريدون ان يعذبوني .

فأدار يحموز رأسه بصعوبة على الوسادة وقال :

- كلا .. لا تؤذوا هذا الغلام .. إنه ساذج ولكنه شريف .. عدوني

بانكم لن تؤذوه .

فقال أبوه :

- لا حاجة لأحد بايذائه . من الواضح انه قال ما يعرفه .. وما أحسبه

قد اخترعه .. والآن اذهب يا ولد ولكن لا تعد إلى المرعى بل ابق على مقربة

من هنا فلعلنا نحتاج اليك مرة اخرى .

فقام الغلام ونظر الى يحموز قائلاً :

- أنت مريض يا سيدي يحموز ؟

فابتسم يحموز بضعف وقال :

- لا تخف . إني لن اموت . اخرج الآن . واعمل كما أمرت .

فخرج الغلام مسروراً . ثم فحص الكاهن عيني يحموز وتحسس مدى جريان الدم في عروقه ونصح له بالنوم ، وخرج مع الآخرين إلى القاعة الوسطى ، وهناك سأل المحوتب :

- أتعرف من هي تلك السيدة التي وصفها الغلام ؟

فأوما برأسه ان نعم وبان الشحوب في وجهه .

وقالت رنزنوب : إن نوفريرت دون غيرها كانت ترتدي ثوبا من كتان

، صبوغ ، لقد كان ذلك جديداً جاءت به من الشمال ، غير ان ثيابها كلها قد دفنت معها ؟

وقال المحوئب :

وحبوط الحرز الثلاثة والأسود الذهبية المدلاة منها ، فقد اعطيتها اياها وليس بالدار حلية مشابهة لها ، فقد كانت حلية غالية وغير مألوفة ، وجميع حليها قد دفنت معها ما عدا قلادة العقيق الأحمر .

ثم رفع يديه فقال :

- ما هذا الاضطهاد ؟ ما هذه النعمة ؟ ايليق ذلك من التي كنت اعاملها احسن معاملة ، واحتفظها بكل مطاهر التكريم ، ودفنتها بالمراسم الجديرة بها ، ولم اذن بنفقة في سبيل ذلك ؟ فلماذا اذن ترجع هكذا من عالم الاموات لتضطهدني وعائلتي ؟

فقال الكاهن مرسو يحد :

- يبدو لي ان الميتة لا تريد السوء بك ، فان للنبيد الذي شربته لم يكن به شيء .. فأي أفراد الأسرة آذى خليلتك ؟

- لقد ماتت التي أذنتها أيضاً .

- أتقصد زوجة ابنك يحموز ؟

- اجل ..

وصمت المحوئب لحظة ثم قال :

- ما الذي يجب عمله يا أبي المبجل ؟ كيف نقاوم هذا الحقد ؟ لقد كان يوم نحس يوم جئت بتلك المرأة إلى بيتي !

فقالت كيت بصوت عميق ، وقد ظهرت عند الباب الموصل إلى جناح النساء

- أجل ، كان يوم نحس حقاً !

وكانت عيناها مملوءتين بالدمع ، وملامح وجهها تدل على القوة والعزيمة ،

ثم هادت تقول بصوت أجش ينسب عن الغضب :

- لقد كان يوم نحس حقاً يوم جئتنا بنوفريت يا المحوئب لكي تقضي على

أربع أبنائك وأجلهم ، لقد قصت على ساتيسي ، ثم سميت سوبك ، واوشك

يحموز أن يلقى حتفه أيضاً من يديها ، ترى من سيكون ضحيتها التالية ؟ أتراها

تبقى على الأطفال وهي التي ضربت طفلي غنج ؟ يجب أن يعمل شيء

يا المحوئب !

فردد قولها

- أجل يجب أن يعمل شيء !

ونظر الى الكاهن نظرة توسل ..

فأروماً الكاهن برأسه وقال بهدوء :

- هناك وسائل كثيرة للخلاص يا المحوئب ، ومق استوثقنا من الوقائع

أمكننا أن نبدأ ، على ان فكري قد اتجه إلى زوجتك المتوفاة ، عشائث ،

لقد كانت من أسرة ذات نفوذ .. ويمكنها في عالم الموتى أن تشير قوى

لندافع عنك وعن أسرتك ضد نوفريت فتفقد هذه قوتها ، يجب أن نتباحث

مما أنا وأنت .

فضحكت ضحكة قصيرة وقالت :

- لا تطيلا البحث ، إن الرجال لا يتغيرون ، حق الكهنة منهم ، وكل

شيء عندهم يجب ان يعمل بعد تربث ووفق الأصول ، ولكني أقول لكما :

هيا أسرعاً وإلا فستحل وفيات جديدة تحت سقف هذا المنزل .

واستدارت وذهبت .

فتمتم المحوئب قائلاً :

- امرأة بارعة ، مخلصه لأولادها ، وزوجة تعرف واجباتها نحو زوجها !

ولكن سلوكها أحياناً ليس كما يجب نحو رب الأسرة ، وبالطبع أنا أسامحها

في مثل هذه الظروف ، فإننا جميعاً في غير اطوارنا ، ولا نكاد نعرف



ماذا نحن فاعلون ..

وهنا قالت ايزا :

- إن بعضنا يعرف ما هو فاعله ..

فنظر اليها أمحوتب نظرة انزعاج ..

وتأهب السكاهن للخروج ، فخرج أمحوتب ممة إلى الشرفة يتلقى من  
التعليمات لأجل العناية بالمريض .

وبقيت ونزنوب في مكاتها .. فنظرت الى جدتها نظرة تساؤل ..  
وقالت لها :

- فم كنت تفكرين يا جدتي ؟

- إن هذه الدار تحدث بها أشياء غريبة ، فلا بد لأحد منا أن  
أن يفكر ؟

- إنها أشياء فظيعة .. إنها تخيفني ..

- وتخيفني أنا أيضاً ، ولكن لسبب آخر .

وأزاحت شمرها المستعار بجركتها المعتادة .  
وقالت لها رنزنوب :

- ولكن بحموز سينجوا من الموت ، انه سيميش .

فأومأت ايزا برأسها موافقة وقالت :

- قد ينجوا بحموز لأن طبيباً بارعاً ادركه في الوقت المناسب ، وقد لا  
يكون حسن الحظ هكذا دائماً .

فسألتها رنزنوب :

- انظنين ان حوادث اخرى ستقع هنا ؟

فأجابتها الحموز :

- أظن ان بحموز وانت وإيبي .. وربما كيت أيضاً ، يجب

ان يكونوا على حذر مما يأكلونه ويشربونه .. ويجب ان يجربه أولاً

احد الصبيد

- وأنت يا جدتي ؟

فردت ايزا بابتسامة ساخرة قائلة :

- إنني يا رنزنوب امرأة عجوز ، وأنا أحب الحياة كما لا يحبها إلا  
العجائز ، وأستمع بكل ساعة فيها وبكل دقيقة باقية لي وأنا دونكم  
جميعاً أمامي أحسن الفرص للحياة ، لأنني سأكون أكثر حذراً من أي  
أحد منكم .

- وأبي ؟ لا شك ان نوفريرت لا تريد السوء بأبي ؟

- أبوك ؟ لا ادري ، اني لا اقدر بعد ، ان اعرف عن يقين ، وغداً حين  
اكون قد قبلت الأمر على وجوهه ، يجب ان اتحدث مرة اخرى مع ذلك  
الغلام الراعي ، إن في قصته شيئاً .

وقطعت كلامها عابسة ، ثم تتهدت وقامت مستندة إلى عصاها ، عائدة  
إلى غرفتها .

أما رنزنوب فقد ذهبت إلى أخيها بحمور ، وكان قائماً ، فانسلت إلى غرفته  
بهدهد ..

وبعد لحظة ذهبت مترددة إلى الجناح الخاص بكيت ، ووقفت برهة  
بالباب دون ان يلحظها احد ، وكانت كيث وقتئذ تغني لأحد أطفالها كي  
ينام . وكان وجهها يتم عن السكينة ، وبدأ عليها انها قد عادت إلى حالتها  
الطبيعية ، حتى ان رنزنوب ساءلت نفسها :

« هل كانت المأساة التي حدثت في الأربعاء والعشرين ساعة الأخيرة حلماً  
من الأحلام .

وعادت رنزنوب ببطء إلى جناحها ، فوجدت على منضدة هناك أوعية  
المعاجين الخاصة بها ومعها علبة الحلوى الصغيرة التي كانت لنوفريرت .

أخذت رنزنوب العلبة ووقفت تنظر اليها وهي في كفها .. إن نوفريرت

قد لمستها ، وقد مسكتها ، فهي تخصها .

وعاد شعور الشفقة بضمها ومعه شعور عجيب بالفهم والادراك من جديد  
لقد كانت نوفريرت ناعسة ..

لعلها إذ كانت تمسك هذه العلبة بيدها قد حولت شقاءها حقداً وبغضاً  
للأميرة كلها . والآن بعد ان ماتت لم يخف بغضها لهم . ولا تزال تريد  
الانتقام ؟

وبحركة آلية فتحت العلبة وحلت الخيط من حول إزارها . وكان بها  
حببات العقيق والخرز المكسور ، ونهى آخر .

ودق قلبها دقا عنيفا وهي تخرج من العلبة قلادة من حببات ذهبية تدلت  
منها اسود من الذهب .

- ٩ -

فزعت رنزنوب إذ وجدت القلادة ، فأعادتها توأ إلى العلبة وأغلقتها  
وربطت الخيط حول إزارها . وهدتها غريزتها الى ان تخفي لقيتها هذه عن  
الجميع ، حتى انها نظرت خلفها للتستوثق من ان احداً لم يرها . ولم تنم تلك  
الليلة إلا لماما .

وما طلع الفجر حتى كانت قد اعتزمت ان تكشف امر تلك القلادة ،  
لايمانها بأنها لا تستطيع ان تحمل وحدها عبء هذا الكشف الرهيب  
وكان اول ما فعلته في الصباح ان اخرجت القلادة ذات الأسود الذهبية  
من العلبة وخبأتها في ثمايا ثوبها .

وكانت قد قررت ان تبحث عن حوري لتطلعه على امر القلادة ذات  
الأسود الذهبية . ولكنه الآن لا بد ان يكون مشغولاً مع الكهنة في معبد  
ايزيس ، فمن العبث ان تحاول لقائه قبل ان يفرغ من مهمته .

وحدثتها نفسها بأن تلجأ إلى ابيها ، ولكنها هزت رأسها رافضة هذا  
الخاطر ، فإن ما كانت تمتقده وهي طفلة في قدرة ابيها قد زال الآن ، وقد  
ادركت انه في وقت الشدة ينتابه الضعف والخور .

ولولا مرض يحموز للبعات اليه واخبرته بالأمر ؛ وان كانت تشك في انه  
سيبيدها بأي نصح عملي ؛ بل لعله كان يصر على عرض الأمر على ابيه .

على انهما لم تكن تريد ان تلتصق رأيا احد غير حوري ، فإن هذا يعرف  
عادة ما ينبغي عمله ، واكثر الظن انه سيأخذ منها القلادة ، ويأخذ معها ما  
بها من قلق وحيرة ، وسينظر اليها بعينيه اللتين بشمان جداً وعطفاً ، واذ ذاك  
تشعر هي بأن هومها قد انتهت ؟

ولاح لها ان تخبر كيث ، ولكنها ما زالت متعبة غبية ..

كما لاح لها ان تخبر ايزا ..

ثم آثرت ان تخبر كامفي .. لأنها تستطيع عندئذ ان تراقب وجهه جيداً  
فترى كيف يفكر ؟ وكيف تتحول ملامحه من التعدي المرح الى الاهتمام ثم  
الى الخوف من أجلها ؟

ولكن .. لماذا يكون ذلك من أجلها هي ؟ اليس من الجائز ان يكون  
من اجل .. صاحبة تلك القلادة ؟ ان نفسها تحدثها كثيراً بأن نوفريرت وكامفي  
كانا اوثق رابطة مما كانا يظهران ..

وهنا شعرت بالاضطراب فلم تستطع متابعة التفكير ، اجل ان عيني كامفي  
ليستا كعيني حوري تتبدان عن الأمن والشفقة ، ولكنها عينا تشمان  
بالطلب والتعدي ..

وشعرت بالدم يصيب خديها من هذه الحواظر .. ولكنها اعترمت الاتخبر  
كامفي بأمر قلادة نوفريرت .

وعادت فأثرت ان تخبر به ايزا ، فإن هذه قد أثرت اعجابها امس ،  
ثم هي برغم بلوغها الكبر تقدر الوقائع تقديراً عملياً صحيحاً لا يتاح لغيرها  
من افراد الأسرة .

ولم تكدر رنزنوب تخبر جدتها بأمر القلادة ، حتى نظرت هذه  
حولها ووضعت اصبعها على شفيتها محذرة اياها خطر الاستمرار في هذا  
الحديث .

ثم اخرجت رنزنوب من طيات ثوبها القلادة ووضعتها في يد ايزا ، فأدنتها

هذه من عينيها ثم خباتها في ثنايا ثيابها ، وقالت بصوت خافت :  
- لا تتحدثي عنها بعد ، إن من يتكلم في هذه الدار تسمعه مئات الآذان  
لقد رقدت معظم الليلة ساهرة أفكر وهناك شيء كثير من الضروري ان يعمل .

- لقد خرج ابي وحوري إلى معبد إيزيس ليتباحثا مع الكاهن مرسو  
بشان صياغة اللتاس الذي يقدم لأمي لكي تتدخل لمهايتنا .

- إني أعرف ذلك ، حسناً ، لنضع أبا يشغل نفسه بأرواح الموتى ، أما أنا  
فإن افكاري تحوم حول أشياء من هذا العالم ، ومق عاد حوري فاحضريه الي  
فهناك امور يجب ان نقال وأن نتحدث ، وانا اثق بحوري .

- إن حوري سيعرف ما ينبغي عمله .

- إنك كثيراً ما تذهبين إلى المقبرة ، اليس كذلك !

فأرمات رنزنوب برأسها موافقة وأجابت :

- أجل ، فمن هناك أرى النيل ، وأرى مصر .. وأبصر الرمال كيف  
يتغير لونها ، وأبصر الصخور كذلك .. وهناك أترك لنفسي العنان ولا يقطع  
حوري سير تفكيري .. وأحياناً انظر فأراه يرقبني فيبتسم كلاً ، اجل اني  
احس السعادة هناك .

فقال لها جدتها :

- ما أسعدك يا عزيزتي ، لقد وجدت السعادة المستقرة في داخل الانسان .

- وأنت يا جدتي ، ألم تكن حيانك سعيدة .

- معظمها ، ولكني الآن وقد بلغت من الكبر عتياً ، صرت أجلس  
وحدتي كثيراً وأمشي بمشقة ..

إن هذه الأشياء قد بقيت لي بعد ان ذهب الكثير ومعظم الأبناء الذين  
أحببتهم قد ماتوا ، ولقد كان أبوك - أعانه الرب رع - دائماً أحق ، وكنت  
أحبه حين كان طفلاً يحبو ولكنه الآن يضجرني بنظائره بالقوة والمعرفة ..  
وبين أحفادي احبك انت . ولمناسبة الكلام عن الأحفاد اين ابي ؟ اني لم

اره امس ولا اليوم !

- إنه مشغول بالاشراف على خزن الغلال .

- إن ذلك سيرضي غروره ، وسوف يختال مزهواً بخطر شأنه .. حين يعود إلى البيت لتناول الطعام أخبريه بأن يأتي إلي ، وفيما عدا ذلك عليك بالسكوت والكتمان .

\* \* \*

ووقف إبيبي بباب غرفة جدته مبتسماً متغطرساً ، وقد وضع زهرة بين اسناده البيضاء ، وبدأ عليه الغرور والابتهاج ، ثم قال لها :

- هل طلبتني يا جديتي ؟

- نعم ، أريد ان تسمح لي بلمحظة من وقتك الثمين ..

فلم يدرك إبيبي ما في طبعتهما من سخيرية وقال :

- الحق إنني جد مشغول اليوم فان علي ان اشرف على كل شيء .

- إن صفار بنات آوى عالية النباح ؟

- لا شك ان لديك ما تقولينه لي غير هذا !

- اجل عندي كثير أقوله لك : فأول كل شيء .. إن هذا البيت في

حداد ، وجثمان اخيك سوبك لا يزال في أيدي المخطئين ، ولكني ارى

وجهك مستبشراً وكأننا في يوم عيد !

فقطب وجهه وقال :

- إنك لست مرأية يا إيزا ، أفتريدين ان اكون مرأياً ؟ انك تعلمين علم

اليقين انه لم يكن ثمة حب بيني وبين اخي ، فقد كان يفعل كل ما يستطيع

لمضايقتي وإزعاجي ، وكان يعاملني وكأنني طفل ، ويعهد الي في المهام الصغيرة

المزلة في الحقل ، وكثيراً ما كان يسخر مني ، ولما اراد ابي ان يشر كنا نحن

أبناءه الثلاثة معه ، أغراه بالألا يفعل ..  
- لماذا تعتقد ان اخوك هو الذي اغراه بذلك ؟

- لقد قال لي كامني ذلك !

فرفعت إيزا حاجبيها وامالت شعرها المستعار جانبا ، ثم قالت :

- كامني ؟ كامني حقاً ؟ إن هذا هممني .

فعاد إبيبي يقول :

- نعم ، قال لي كامني انه علم بذلك من حنث ، وهذه كما نعم جميعاً لا

يخفي عليها شيء ..

- ومع هذا فقد أخطأت حنث في هذا الاتهام ، لا شك ان يحموز وسوبك كليهما كانا يريان انك اصغر سنماً من ان تدخل في الشركة ، ولكني أنا التي أفنعت أباك بعدم ادخالك فيهما .

فنظر اليها الفتى بدهشة وقال :

- أنت يا جديتي ؟ ولماذا فعلت بي ذلك ؟ وما شأنك فيه ؟

- إن شؤون اسرتي هي شؤوني .

- هل أصغى أبي اليك ؟

- لم يقتنع في البداية ، ولكني سألقنك درساً يا طفلي الجميل ، فاعلم إذن ان النساء يعملن باللف والدوران ، وهن يتعلمن كيف يستغلن ضعف الرجال ان لم يكن ذلك من غرائزهن ..

فعملق إبيبي فيها هنيئة ، ثم ضحك وقال لها :

- أنت ماكرة يا إيزا برغم كبر سنك ، لا شك انك وانا قد انفردنا بالذكاء في هذه الأسرة .

- سأكون حذرة .. ولكن إزاء نصيحتك هذه انصح لك بأن تكون على حذر ، لقد مات احد أخويك وأوشك الثاني ان يموت ، وانت ايضاً ربما أعدت لك نوفمبريت النهاية نفسها ؟

فضحك ابي بازدراء وقال

- اني لا أخشى ذلك .

وسألته جدته :

- ماذا يدور بخلدك يا ابي

فأجاب بقوله :

- إن لي رأي ، وأؤكد لك اني لا يزعبني أي شيء يمكن أن تصنف روحها ..

وهنا ارتفعت صيحة من خلف ، فالتفت وإذا بجنت قد جاءت تقول :

- ايها الفلام الأحمق ، أيها الطفل الطائش ، إنك تتحدى الأموات ..

وبعد ان ذقنا ما ذقناه منها ما زلت تصر على ألا تحمل اية قيمة للوقاية .

فضحك ابي وقال :

- وقاية ؟ اني سأقي نفسي ، ابعدي من طريقي يا حنت فإن أمامي عملا

أوديه .

ثم دفع حنت بيده فأزاحها جانباً ، وخرج من الغرفة ، فأخذت حنت

تدوح وتندب ، ولكن ايزا اسكتتها قائلة :

- اصفي الي يا حنت ، ان ابي قد يعرف ما هو فاعله ، وقد لا يعرف

ذلك ، فإن مسلكه غريب جداً ، ولكن اصدقيني القول : هل قلت لك اني

ان سوبك هو الذي حرص أبوه على عدم ادخال ابي في الشركة ؟

- ان عندي من العمل المتواصل في المنزل ما لا يترك لي وقتاً لنشر أبناء

بين الناس ، ولا سيما كامن بالذات ..

- حقا .. ولكن اذكري يا حنت ان اللسان يكون أحياناً سلاحاً خطراً

وقد يحدث الموت . وقد يحدث أكثر من وفاة واحدة ، ولعل لسانك يا

حنت لم يكن سبباً في موت احد .

- لماذا تقولين ذلك لي ايا ايزا ؟ وما الذي يجول بخاطرك ؟ اني لا اقول

لأحد كلمة أخشى ان يسمعها الناس جميعاً ، اني مخلصه للأمره كلها ، وافدي كل فرد من افرادها بنفسني ، ولكنهم لا يقدرون اخلاصي ؟ لقد وعدت امهم العزيزة ..

فقطعت ايزا كلامها قائلة

- ما قد جاء السمان مطهياً بالكراث والكرفس ، ان رائحته شبيهة والآن ما دمت بهذا الاخلاص لنا ، فهيا ذوقيه اولاً حتى استوثق من انه ليس مسمماً ..

فارتفعت حنت قائلة

- مسمم ؟ كيف تقولين ذلك ؟ لقد طهي في مطبخ الدار فكيف يسمم ؟

- لا بد ان يذوقه احد قبل ان آكله . هيا افتحي فاك . افسه لذيذ ؟

ليس كذلك .. اني اراك مصفرة الوجه . ألم ترأحي الى هذه النكتة ؟

ما احسبك قد ارتحمت اليها ، ها .. ها .. ها ..

وما لبثت ان استعادت سميت الجذ واقبلت على لون الطعام الذي تحبه .

انتهى التشاور في المعبد ، ووضع نص الالتماس ثم عدل ، وقد قام بوضعه حوري واثنان من كتبة المعبد ، وأخيراً اتخذت الخطوة الأولى ، واخذ كبير الكتبة في تلاوة الالتماس ، وكان فيه ما يلي :

« إلى الروح الطاهر السامي روح عشايت :

« انه من اخيك وزوجك المحوتب ، هل نسيت الأخت اخاها ؟ هل نسيت الأم الأطفال الذين ولدتهم ؟ ألا تدري عشايت ، فضلى النساء ، ان روحاً شريراً تهدد اولادها ؟ لقد انتقل ابنها سوبك إلى اوزيريس مسمماً ؟

« لقد احظتكم في حياتكم بكل تكريم ، ومنعتكم الخـلى والثياب ، والأدهنة والعمطور ، والزيت لأجل أعضائكم ، وكنا نأكل معاً احسن الوان للطعام ، وكنا نجلس معاً في امان ومودة إلى مائدة اعدت لنا ، ولما مرضت لم اضن بمال في سبيل علاجك ، وجئتكم بطبيب بارع ، ثم دفنت بكل تكريم وبالمراسم الواجبة وبكل شيء يلزمك في حياتك الجديدة ، من خدم وثيران ومن طعام وشراب ، ومن كساء وحلى ، وقد حزنت عليك سنوات عديدة ، وبعد سنوات طويلة ، اتخذت لي خـدينة كيما اعيش كما ينبغي لرجل لم يبلغ الكبر بعد .

« وهذا الخدينة تؤذي الآن ابنائك ، الا تعلمين ذلك ؟ ربنا

كنت تجهلينه ، ولكن لا شك في ان عشايت إذا علمت ذلك فانها تبادر إلى اغاثتهم

« أم ترى تعلم عشايت ، ولكن الشر مستمر لأن الخليفة فوفريت قوية بحرما الأثم ؟ ولكن هذا بالتأكيد صد مشيتك يا عشايت يا فضلى النساء ، لذلك اذكري ان لك في ميدان الهبات أقارب عظاماً واعواناً اقوياء ، ومنهم ابيي العظيم النبيل ، كبير سقاة الوزير ، فاطمبي معونته ، وايضاً خالك مربتاح العظيم القوي حاكم الاقليم ، فاخبريه بالحقيقة المؤلمة ، ودعي الأمر يرفع اليه ليقضي فيه ، وادعي الشهود ليشهدوا على فوفريت بأنها قد أنت ذلك الأثم ، وليجر العدل مجراه وليحتم على فوفريت بالأتاني شراً جديداً لأهل هذه الدار ..

« آه يا عشايت الفاضلة .. إذا كنت متكدره من أخيك المحوتب ، لأنه اصفى إلى التحريض السيء من تلك المرأة وقوعد أبناءك بأن يظلمهم فاذكري انه ليس وحده الذي يقامي الآن ، بل كذلك أبناؤك ، اغفري لأخيك المحوتب اي شيء فعله ، من اجل ابنائك ،

وسكت كبير الكتبة عن القراءة فأرماً الكاهن مرسو برأسه موافقاً وقال :

- انه مكتوب بأسلوب حسن ، واضن انه لم يترك شيء ..

ثم نهض المحوتب قائلاً :

- شكراً لك ايها الأب المبجل . ان هبتي ستصل اليك قبل غروب شمس غد ، وهي مؤلفة من ماشية وزيت وكتان ، الا نحدد اليوم الذي نحتفل فيه بوضع وعاء هذا الخطاب في غرفة الهبات بالمقبرة ؟

فقال الكاهن :

- ليكن بعد ثلاثة أيام ، ويجب ان يحفر نص الخطاب على الوعاء وأن تعد المعدات للمراسم اللازمة .

- كاشاه ، وعسى الا يحدث سوء جديد ؟

- اني اقدر قلقك يا امحوتب ، ولكن لا تخف ، ان روح عشيت سوف  
يجيب هذا الاستفسار ، ولأقاربها سلطة ونفوذ ، فهم في مركز يقضون فيه  
بحق حيث يلزم القضاء ..

فأوما امحوتب موافقا وقال :

- عسى ان يكون ذلك وفق إرادة إيزيس شكراً لك يا مرسو ،  
وشكراً لك ايضاً على عنايتك بابني يحموز .  
ثم التفت إلى حوري وقال له :

- هيا بنا .. إن امامنا اعمالاً كثيرة في المنزل ، وان عشيت الفاضلة لن  
تخذل اخاها المنكوب ..

\* \* \*

دخل حوري صحن الدار ، حاملاً لفائف ورق البردي ، وكانت رنزنب  
تنتظره ، فجاءت من البحيرة تجري صوبه وتناديه :

- حوري .. حوري ..

فوقف حق أدركته فقال لها :

- ماذا تريد يا رنزنب ؟

- هيا معي إلى جدي ؟ لقد كانت تنتظرك ، وهي تطلبك ..

- حسنا ، ولكن ابوك قد يكون في حاجة الي الآن ؟

- إنه الآن مشغول بالحديث مع ابيي .

- إذن سأضع هذه اللفائف جانبا ، ثم المجز بعض الشؤون العاجلة  
وآتي معك ..

وبدا على إيزا السرور حين جاء اليها حوري مع رنزنب ..

وقالت لها هذه :

- هذا حوري يا جدي ، لقد أحضرتك اليك لوأ ..

- حسنا ، هل الجو حسن في الخارج ؟

فأجابتها متعجبة :

- اظن ذلك ..

- إذن .. اعطيني عصاي ، سأمشي قليلاً في صحن الدار .

وكانت إيزا لا تفادر المنزل إلا نادراً ، ولذا دهشت رنزنب ، وقادت

جديتها وهي متأبطة ذراعها ، وعبرا القاعة الوسطى الى الطنفة ..

ثم قالت لها :

- اجلس هنا يا جدي ؟

- كلا يا طفلي بل نمشي الى البحيرة .

وكانت مشيتها بطيئة ، ولكنها برغم عرجها كانت قوية لا يبدو عليها

الضعف . ونظرت حوالها ثم اختارت بقعة على شاطئ البحيرة ، نمت فيها

الأزهار وقامت شجرة حمير ظليلة . ولما جلست قالت بارتياح :

- ها هنا نستطيع أن نجلس وان نتكلم دون ان نسمعنا احد .

فقال لها حوري :

- انك حكيمة يا إيزا .

- ان ما سنقوله هنا الآن يجب ان يبقى في طي الكتمان لا يعلم به احد

غيرنا ، اني اثق بك يا حوري فأنت معنا منذ كنت طفلاً صغيراً ، وقد عهدنا

فيك دائماً الاخلاص والعقل والكتان . ورنزنب هي احب احفادي الى قلبي

ولا اريد ان يناها اي اذى .

- لن يصيبها اذى ..

ولم يرفع حوري صوته وهو يقول ذلك ، لكن لهجته بعثت الطمأنينة في

قلب إيزا فقالت له :

- اصبت يا حوري . انك تقول ذلك في هدوء ورزاقنة ، شأن الرجل الذي يعني ما يقوله ، والان خبرني : ماذا دبر اليوم ؟  
فذكر لها حوري ما تم من كتابة صيغة اللباس ، واصفت اليه في اهتمام حتى فرغ من حديثه فقالت :

- حسنا .. والان اصغ الي يا حوري وانظر الى هذه ..  
ثم اخرجت من طيات ثوبها القلادة ذات الأسود الذهبية واعطته ايادها ، بينما التفتت الى حفيدتها قائلة لها :

- اخبريه يا عزيزتي اين وجدت هذه .

ولما انتهت الفتاة من كلامها ، عادت ايزا فسألته

- ما رأيك يا حوري ؟

فصكت هنيهة ثم قال :

- انك كبيرة السن ذات حكمة ، فما رأيك انت ؟

- يعجبني منك انك لا تمجمل بالحكم على الأمور الا اذا كانت مؤيدة بالوقائع ، انك منذ البداية كنت تعرف كيف لقيت نوفريت حثفها ..

- لكنني لم اكن على يقين من هذا الأمر ..

- هذا صحيح ، وليس لدينا حتى الان ما يجعلنا على يقين منه . ولكن ما هنا على البحيرة وفيما بيننا نحن الثلاثة ، يمكن ان نذكر ما أثار شكوكنا ثم لا نشير اليه ثانية ، والان عندي اكثر من تحليل المأساة التي وقعت : فمثلا قد يكون الغلام الراعي صادقا فيما رواه .. اعني ان ما رآه كان شبح نوفريت حقا عاد من عالم الموتى للانتقام لنفسها فوق ما انتقمتم بايجاد الحزن والحداد في امرتنا والكهنة يؤيدون امكان وقوع هذا ، ونحن نعلم ان الأرواح الشريرة تسبب المرض احيانا . ولكن يبدو لي ، وانا امرأة عجوز لا اميل الى اعتقاد صحة ما يقوله الكهنة ، ان هناك احتمالات اخرى .

- ما هذه الاحتمالات ؟

- لنفرض ان نوفريت قتلت بيد ساتيبي ، وان هذه بعد حين من ذلك ظهر لها شبح نوفريت ، فأدى بها الخوف وذكرى الجرم الذي ارتكبته الى ان سقطت تلك السقطة المميته . هذا واضح وضوحا كافيا . ولنفرض بعد ذلك ان احداً من الناس اراد ان يقضي على يحموز وسوبك ، فاعتمد على تصديق الجميع خرافة ظهور شبح نوفريت لكي ينسب اليه ما يقع من جرم جديد ..  
ومنا ابتدرت الفتاة جدتها سائلة :

- لكن يا جدي .. من ذا الذي يريد ان يقتل يحموز أو سوبك ؟

- لا أحد من الخدم فلأنهم لا يحرثون على ذلك . وعلى هذا تضيق دائرة الاختيار أمامنا .

- أتعنين يا جدي ان يكون المتهم واحداً منا ؟

- إسألني حوري . انك تربنه لا يعترض على ما قلته ؟

فالتفتت رنزنوب اليه متسائلة . اكنه اكتفى بان هز رأسه وقال :

- إنك يا رنزنوب صغيرة السن كثيرة الثقة بالناس ، إنك تحسبن ان كل إنسان تعرفينه وتحبينه هو في الحقيقة كما يظهر لك . ولا تعرفين خبايا النفس البشرية والشر الذي يمكن ان تكنه .

فعدت تسأله :

- لكن من هو ؟ ألا تصرح لي باسم من يمكن ان يوجه اليه مثل هذا الاتهام ؟

فقالت لها جدتها :

- لنعد الى تلك القصة التي قصها الغلام الراعي .. لقد رأى امرأة في نوب من الكتان المصبوغ ، وتلبس قلادة نوفريت ، فإذا لم يكن ذلك شبحا فعنى ذلك انه ابصر امرأة تحاول ان تظهر في هيئة نوفريت . ربما كانت كبت ، وربما كانت حث ، وربما كنت انت يا رنزنوب او لعلها كانت انسا

(٩) غادة طيبة



وعلى اية حال ، هذه فروض واحتمالات لا اكثر ، فاسكتي ودعيني اتكلم  
اما الاحتمال الآخر فهو ان الغلام كان كاذبا وان قص قصة لقنه اياها احد من  
الناس وفي هذه الحالة لا بد ان يكون هذا الشخص من له سلطان على الغلام  
ويمكن القول بأن الغلام لضعف عقله ربما كان قد نسي او حرف شيئا مما  
أمر بأن يذكره . ولان نعرف الحقيقة الان لأن الغلام قد قتل .. ومقتله  
نفسه يدعو الى التأمل . فهو يحتملني اميل الى الاعتقاد بأن الولد قد قص  
قصة أمليت عليه ، ولو انه حقق معه تحقيقا دقيقا . كما كان مقررا ان  
يحدث اليوم . فإن قصته كانت تنهار ، وكان من السهل بقليل من الصبر اظهار  
ما فيها من كذب .

فسألها حوري :

- إذن انت تحسبن ان بيننا قايلا ؟

- اجل . وما رأيك انت ؟

- انا ايضا اظن ذلك .

فرددت رنزنوب بصرها بينهما في خوف ظاهر ..

ثم قال حوري :

- ولكن البواعث ليست واضحة امامي .

فقالت ايزا

- انا او افلك على ذلك ، وهذا ما يزعجني ، ولا ادري من هو المهدد بالخطر

بعد ذلك ؟

فقالت رنزنوب بلهجة الشك :

- ولكن . اليس غريبا ان يكون مقاتل واحدا منا ؟

فهزت ايزا رأسها آسفة وقالت :

- اجل يا رنزنوب ، واحد منا .. حنت او كيت او ايسي او كامني او

بحوتب نفسه .. اجل ، او ايزا او حوري ..

ثم ابتسمت واردفنت :

- وربما رنزنوب .

فقال حوري :

- صدقت يا ايزا . يجب ان ندخل انفسنا ايضا في الدائرة .

فسألته رنزنوب :

- ولكن لماذا ؟

فقالت المعجوز :

- لو عرفنا السبب لعرفنا كل الحقيقة . على اننا نستطيع ان نسير في  
سبيلها على ضوء ما حدث .. اننا نعلم ان سوبك لحق ببحموز على غير انتظار  
وهو يحتملني النبيذ ، فمن المؤكد اذن ان الجاني ، ايا كان ، اراد ان يقتل  
بحموز . ولكن ليس من المؤكد انه اراد ايضا قتل سوبك .

فقالت الفتاة متسائلة :

- ومن الذي يريد أن يقضي على بحموز ؟ ان بحموز اقلنا اعداء فإنه دائما  
هادى شفيق .

فقال حوري

- اذن . فمن الواضح ان الباعث لم يكن هو البغض والحقد ، فإن  
بحموز ليس من طراز الرجال الذين يمادون الناس ؟

فقالت ايزا :

- كلا .. ان الباعث اكثر غموضا من ذلك ، فإنه إما أن يكون عداوة  
للأسرة كلها . واما ان يكون الجشع الذي نخذرها منه وصايا (بتناحوتب )  
اذ يقول : ان الجشع جماع الشرور والاثام ، .. هذا ما اراه .

فقال حوري :

- اني أرى متجه أفكارك .. ولكن لكي نصل الى نتيجة يجب ان نتنبأ

- اذن صور لنا يا حوري ما يمكن ان يحدث

فسكت حوري لحظة ثم قال :

- لو ان يحموز مات كما أريد له ، فمن هم الذين يفيءون من موته ؟ انهم ولا شك شركاؤه في ثروة المحوتب وفي مقدمتهم سوبك وايبى ، وصحيح ان بعض الميراث كان ينتقل إلى أبناء يحموز نفسه ، ولكن إدارة الأملاك كان يعمد فيها إلى أيدي غيرهم ..

ولعل سوبك كان يصبح اكبر مستفيد من موت يحموز . إذ يعمد اليه في القيام بمهام ( كاهن - كا ) في غياب المحوتب أو بعد وفاته ، ولكن سوبك لا يمكن أن يكون القاتل ، لأنه هو نفسه شرب من النبيذ المسمم جرعات كبيرة ، قضت عليه .. ولذا فإني أقدر ان وفاة يحموز وسوبك لا تفيد إلا شخصاً واحداً هو . في الوقت الحاضر كما اظن .. ايبى دون غيره ..

فقلت ايزا :

- إني أقرك على ذلك ، ولكن ايبى كما نعلم جميعاً ما زال صغير السن .. كما انه قليل الصبر .. انه يعتقد ان تنفيذ رغباته أهم شيء في الوجود ، وهو يكن الحقد والضعف لأخويه ويظن انه ظلم إذ لم يدخل معهما في الشركة ، ويظهر أيضاً أن كامني قال له أشياء بعيدة عن الحكمة ..

فصاحت رزنوب متسائلة :

- كامني ؟

ثم احمرت وجنتاها من الخجل وعضت شفتيها ، فالتفت اليها حوري ونظر اليها تلك النظرة النافذة الجادة التي كثيراً ما أخرجتها .. ومدت إيزا عنقها إلى الأمام قائلة

- أجل كامني .. اما ان حنت أوحى اليه أو لم توح فهذا شيء آخر ..

والواقع ان ايبى طموح متكبر وانه كان كارهاً لسلطان أخويه . ويعد نفسه اذكى أفراد الأسرة كما ذكر لي

فسألها حوري :

- هل قال لك ذلك ؟

- أجل وقد جاملني بأن أشركني معه في ميزة الذكاء هذه ..

وهنا قالت رزنوب بلهجة الشك :

- أتظنان أن ايبى قد تعمد أن يقتل يحموز وسوبك بالسم ؟

فقلت ايزا

- إن ذلك ليس سوى احتمال ، إننا نسرده فروضاً لا اكثر وليست أمامنا براهين ، وهناك منذ بداية العالم رجال قتلوا اخوتهم وهم يعلمون ان الآلهة تكره مثل هذا القتل ، لكنهم كانوا مدفوعين بالطمع والبغضاء ، وإذا كان ايبى قد فعل شيئاً من هذا القبيل ، فلن نجد دليلاً عليه لأنه في الحق بارع ! فأوما حوري برأسه موافقاً ..

واستطردت ايزا قائلة :

- هذه كلها فروض كما قلت لكما .. وعلى هذا الأساس سأمضي في بحث موقف كل فرد من أهل هذه الدار ، وسأخرج الخدم من دائرة البحث لأنني لا أعتقد ان أحداً منهم يجرؤ على مثل هذه الجرائم ، ولكني لا أخرج حنت !

فقلت رزنوب :

- حنت ؟ ولكنها مخلصه لكل فرد منا ، ولا تفتأ تقول ذلك ؟

فقلت ايزا

- من السهل إظهار الأكاذيب بمظهر الحقائق .. لقد عرفت حنت منذ سنوات عديدة ، وحينما جاءت إلى المنزل وهي شابة مع امك كانت فقيرة بائسة وكافت لهذا تدعي الاخلاص لها ، ولكنني راقبتها وهي تنظر إلى أمك

إذ تنتقل في أرجاء الدار ، وأؤكد لك يا رنزنب ان نظراتها لم تكن تنم عن حب وإخلاص بل كان ملؤها الحقد والحسد . ومن ثم ترينني أرتاب فيما ترعى من الاخلاص لم جميعاً .

عندئذ قال حوري :

- خبريني يا رنزنب . أشعرين بمحبة لحنث ؟

- كلا .. اني لا أحبها وكان ضميري دائماً يؤنبني على ذلك ..

ثم تنهدت وقالت :

- لكن ابي يثق بها ..

فقلت ايذا

- إن ابني أحق وحنث تتخذ الملق وربما تكون مخلصه له حقاً وانى لأحسبها كذلك أحياناً .. ولكنها على التحقيق لا تخلص لأي أحد آخر في هذه الدار ..

فأوما حوري برأسه موافقاً وقال :

- هناك فساد ينبعث من الداخل وقد حدثت رنزنب عنه يوماً .

فأجابته :

- الواقع اني لم أفهم ما قلته يومئذ .. ولكفي بدأت أحسن الفهم الآن .. لقد بدأ الفساد بقدم نوفريرت .. وكنت حينذاك ارى ان كل فرد هنا لم يعد كما كنت أحسبه فروعني هذا التغير .. والان اشعر بأن هذا يملؤني رعباً .

ثم استطردت ايذا فقالت :

- وهناك أيضاً كيت .

فقاطعتها رنزنب قائلة :

- كيت ؟ هذا شيء غير معقول .. بل يستحيل ان تقتل كيت سوبك زوجها ..

- لا شيء غير معقول . هذا على الأقل ما تعلمته في حياتي . إن كيت

امرأة بالغة الغباوة .. وكيت تعيش في عالم صغير مكون منها ومن أطفالها . وليس بعيداً ان يلوح لها ان في إزاحة يحموز من العالم ما يزيد من ثروة أبنائها فإذا زال يحموز من الوجود . فإن المحوتب لا يجد بدأ من الاعتماد على سوبك . نعم اعتقد ان كيت في غباوتها قد تتصور المسألة على هذا النحو ..

فأحست رنزنب برجفة تعترى جسدها فسكتت قليلاً ثم قالت :

- لكن كيت لا يمكن ألا تدرك ان سوبك قد يعود إلى البيت فيروي

ظماً من ذلك النبئذ .

فردت إيذا قائلة :

- كلا ! ما أحسبها تدرك ذلك فإنها غيبية كما قلت . لا ترى إلا ما تحب

أن تراه .. ومن الجائز أن تتصور يحموز يشرب وحده من ذلك النبئذ فيموت .. وأن ينسب موته إلى التدخل السحري من ناحية روح نوفريرت الشريرة الحسناء . إنها لا تستطيع ان تتصور الا شيئاً واحداً بسيطاً لا اشياء عديدة ممكنة او محتملة . ولما كانت لا تريد اسوبك الموت فإنها لم يخطر ببالها إمكان عودته وتجرحه من ذلك النبئذ ..

وساد السكوت قليلاً ، ثم استطردت :

- والآن يأتي دور كامني .. نعم اننا لا يمكننا ان نستثني كامني من بحثنا صحيح انه ليس هناك باعث ظاهر له إلى إيذائنا .. ولكننا لا نعرف كثيراً عنه . لقد جاء من الشمال مثل نوفريرت . وقد راقبته حينما عن كشب . ولكني في الحق لم أفهمه . فإنه يبدو دائماً مرحاً خالي البال . ولم يظهر اهتماماً كبيراً لموت نوفريرت . فهل حزن كامني حقاً لوفاة نوفريرت ؟ وهل أراد الانتقام لها ؟ ومن ينتقم ؟ أمن ساتيبي العدو الأولى لنوفريرت ؟ ام من يحموز بوصفه زوج ساتيبي ؟ ام من سوبك الذي طالما توقع نوفريرت ؟ وهل يمكن ان يفكر في الانتقام ايضاً من كيت لأنها كانت تضطهدها ؟ ومن ابيي لأنه كان يكرهها ان ذلك يبدو أقرب إلى الخيال .. ولكن من يدري ؟

ثم سكتت إيزا ونظرت الى حوري متسائلة . فلم يزد على ان كرر عبارتها الأخيرة قائلا :

- من يدري .

ثم امسك عن الكلام هنيئة وعاد فقال :

- كلا ! لا يمكنني أن أحدد إتهامي الآن .

وسكت حوري هنيئة ثم قال وكأنه يحدث نفسه :

- إن الدليل الوحيد على ما يمكنه فكر انسان هو مسلكه . فإذا كان

مسلكه عجيبيبا مستغربا ولم يعد هو نفسه فعندئذ ..

فسارعت رنزنوب إلى اكمال عبارته من عندها قائلة :

- فعندئذ ترقاب فيه ؟ اليس كذلك ؟

- كلا .. بل العكس هو الصحيح ان الرجل الذي يستكن الشر في ذهنه

وتكون نواياه سيئة يشعر بهذه الحقيقة في نفسه ويحتمد في اخفائها عن الناس

بكل وسيلة ممكنة . ولذا لا يظهر منه ما يستغرب .

- اتقصد رجلا !

- رجلا او امرأة .

- فهمت ولكن ماذا لديك عنا الا تمسنا الريبة نحن ايضا .

- اجل يجب ان تفكر في ذلك ايضا . فانا مثلا حزت ثقة بالغة في هذا

الدار . وفي يدي امر كتابة العقود وبيع الحاصلات والمنتجات كما اني اتولى جميع

الحسابات ومن المحتمل ان اكون قد زيفتها - كما كشف كامني تزيف الحسابات

في الشمال ؟ وربما يكون يحموز قد بدأ يرقاب في . ولهذا يكون من صالحني

ان يسكت الى الأبد !

وهنا قالت ايزا :

- وأنا كيف يمكن ان تتجبه الشبهات الي .. سأشرح لكم هذا بنفسني

فاستمعوا لما اقول .. اني امرأة عجوز والذهن في الكبر يمرض أحيانا، فيبفض

صاحبه حيث يجب ان يحب وقد اكون سئمت أحفادي وعلى هذا عمدت الى

القضاء عليهم ! انها محنة تصيب المعجائز احيانا من مس روح شريرة !

وهنا قالت رنزنوب :

- وأنا .. لماذا احاول قتل اخ احبه .

فقال لها حوري :

- اذا مات يحموز وسوبك وايبني فلانك تكونين الباقية من ذرية أحموتب

وعندئذ يحد لك زوجا؛ وتنتقل كل أملاك ابيك اليك وتصبحين أنت وزوجك

وصيين على أبناء يحموز وسوبك .

ثم ابتسم وواصل كلامه :

- لكننا تحت هذه الشجرة لا نرقاب فيك يا رنزنوب !

وقالت ايزا

- نعم .. نحن هنا تحت هذه الشجرة لا يمكن الا ان نحبك يا رنزنوب !

- هذا صحيح ، وقد مات سوبك المسكين ، وأشرف يحموز على الموت ؟  
فاقتربت إيزا منها ، وأخذت تطيل النظر إلى وجهها قائلة :  
- لماذا ابتسمت يا حنت وأنت تقولين ذلك ؟

فبغتت حنت وتمتمت :

- أنا ؟ أنا ابتسمت .. إنك تحلمين ولا شك وهل من المعقول ان ابتسم  
ونحن نتكلم في هذا الأمر الرهيب ..

- اسمعي يا حنت ، اني حقاً ضعيفة البصر إلى حد يقرب من العمى ،  
ولكني لست عمياء . ولذا سألك مرة أخرى : لماذا ابتسمت ابتساماً تدل  
على ارتياح خفي واغتباط ؟

فتظاهرت حنت بالفضب وأجابت :

- إن ما تقولينه يا إيزا يدعو إلى السخط .  
فابتسمت إيزا قائلة :

- وهو أيضاً يدعو إلى الخوف كما بدا في وجهك الآن .

فسكنت حنت قليلاً ثم ردت :

- من الذي لا يخاف وهذه الحوادث العجيبة تقع بالدار ؟ إننا كلنا في  
خوف ورعب إذ نحس الأرواح الشريرة تعود من عالم الأموات لكي تعذبنا  
ولكنني أعرف ما هنالك .. فقد كنت تستمعين إلى حوري . فما الذي  
قاله عني ؟

- أتخافين مما يعرفه حوري عنك يا حنت ؟

- إنه لا يعرف عني أي شيء مطلقاً ، وخير لك أن تسأليني أنا عما  
أعرفه عنه !

- حسناً يا حنت ماذا تعرفين عنه ؟

فتأرخت حنت وأجابت :

- إنكم جميعاً تدررون حنت المسكينة .. إن حوري يتجاهلني كلما لقيني

لم تكذب إيزا تأوي إلى غرفتها حتى جاءت حنت تقول :

- عجباً .. أكنت خارج البيت ؟ إنك لم تغادريه منذ عام تقريباً .

ثم رقت تنظر إليها في فضول وتساؤل فأجابتها إيزا :

- إن المعجزات ذات أهواء كما تعلمين .

- لقد رأيتك تجلسين عند البحيرة مع حوري ورتزنب .

فنظرت إليها إيزا بعينيها الضيقتين وقالت :

- نعم ، ولكن ليس بحيث يسمعي أحداً !

- لا أدري لماذا هذه القسوة علي يا سيدتي .. ليس هنا غير المحوتب من

من يقدر إخلاصي .

فقطعت إيزا كلامها بجدة قائلة :

- صدقت يا حنت ، إنك لا تعتمدين إلا عليه اليس كذلك ؟ فإذا حدث

له شيء من ..

فقطعت حنت كلامها قائلة :

- لا .. لا إن يحدث شيء لأحوتب ؟

- اني لك أن تعلمي ذلك يا حنت ؟ أوجد أمان لأحد في هذه الدار ، فقد

حدث شيء ليحموز ، ومن قبله حدث شيء لسوبك و ..

في أي مكان ، ونظراته حين يواجهني تدل على أنه يعتبرني لست شيئاً في الوجود . على أن من الخير له أن ينظر الي وان يحس وجودي . فقد حسبت ساتيبي نفسها بارعة ، فأين هي الآن ؟

فنظرت ايزا اليها واجابت :

- اذهبي يا حنت .. اذهبي يا حنت وانا أحذرك ، كوني على حذر في كلامك وأفعالك . فإننا لا نريد وفيات جديدة في هذه الدار ، ولملك تفهيم .

\* \* \*

لا شيء سوى الخوف .

لم تدرك رنزنوب إلا فيما بعد معنى هذه الكلمات التي فاهت بها من حيث لا تشمر وهي جالسة عند البحيرة مع ايزا وحموري !  
ثم استدارت وقصدت إلى مدخل صحن الدار ، ولم تمض لحظة حتى دخل ابي مرفوع الرأس وعلى وجهه ابتسامة مرحة .

وقال لها ابي :

- لماذا تنظرين الي هكذا يا رنزنوب ؟

- كنت انظر اليك ؟

فضحك ابي وقال :

- انك أشبه بالذهولة مثل حنت .

- إن حنت ليس بها شيء من الذهول ، بل هي - على عكس ذلك -

داهية خبيثة !

- نعم يا رنزنوب ، أنا أعرف إنها شديدة الخبت والواقع إنها مخلوق

مضائق بالبيت . وفي نيتي ان أتخلص منها .  
ففتحت فاها مشدوهة ثم سأته :  
تتخلص منها ؟ كيف ؟  
فابتسم ابي وقال :

- ماذا بك يا اختي العزيزة ؟ ماذا دهاك ؟ هل رأيت أشباحاً كالتي رأها ذلك الغلام الأسود البائس الأبله  
فبقيت هنيهة ساكنة ثم قالت :  
- أكل إنسان عندك أبله يا ابي .

- كلا ! ولكن ذلك الغلام كان أبله ولا شك .. ولا اكتمك اني لا أطيق الغباوة . فإني أقامي الكثير من الأغبياء . ولم يكن من دواعي السرور أن ابني بأخوين اكبر مني بطيشي الحركة لا يريان إلى أبعد من أنفسيهما . والآن وقد أزيحنا من طريقي ، ولم يبق سوى أبي لكي أعالجه فإنك لا تلبثين قليلاً حتى يظهر لك كيف أسير الأمور . إن أبي سوف لا يفعل إلا ما أشير به !  
- اسمع يا ابي ان اخويك لم يزاحا كلاماً من طريقك كما قلت ، لقد مات سوبك حقاً ، ولكن يحموز يستعيد صحته وقوته كما كان .  
- هذا ما قرره مرسو الطبيب أيضاً .

فضحك ابي باستهزاء وقال :

- لست موافقاً على هذا الرأي ، ان يحموز قد انتهى . وربما يستطيع فيما بعد أن يغادر فراشه ليروح قليلاً في البيت ، او ليجلس في ضوء الشمس ، ولكنه لن يستطيع أبداً أن يعود كما كان ، فقد أفلت من الموت متأثراً بالسم الذي تجرعه . ولكنك ترين ان صحته لم تتقدم .  
- ستتقدم صحته فيما بعد ، وقد ذكر الطبيب انه سيسترد قوته وحيويته بعد أيام .

فمز ابي كتفيه وقال :

- إن الأطباء لا يعرفون كل شيء . انهم في كثير من الأحيان يرسلون  
ظلمات ضخمة جوفساء .. وفي استطاعتك ان تلومي نوفرية الشريرة إذا  
شئت ، فإن أخانا العزيز يحموز قد انتهى ا

ثم خطا نحوها حتى كاد وجهه يلامس وجهها وقال لها :

- من أجل ذلك ، ينبغي لك يا رنزناب أن تحذري غضبي .

ولم تجب ، بل وقفت تتفرس في وجه ابيي ..

ثم سمعت وقع قدمين خلفها ، وإذا كبت قد أقبلت ، ووجهت الخطاب  
اليها قائلة :

- ماذا يقول لك ابيي يا رنزناب ..

فقلت في هدوء :

- انه يذكر انه سيصبح سيد البيت عما قريب .

فقلت كبت دون ان تنظر اليه :

- اهذا ما يحسبه .

ثم هزت رأسها في اسف وحسرة كأنما تستبعد ذلك . وعادت من  
حيث اتت .

\*\*\*

كان أمحوتب جالسا مع حوري بفحصان ورقة حساب . فلما لمح ابيي قادما  
انفرجت أسارير وجهه وقال مرحبا به :

- ها هو ذا عزيزي ابيي . ما وراءك من أنباء المزرعة .

فرد ابيي :

- كل شيء يسير على ما يرام يا أبي . وقد كنا نحصد الشعير ومحصوله

وافر !

فتنفس أمحوتب الصعداء ثم قال :

- ذلك من فضل ( رع ) . ان كل شؤوننا خارج الدار تسير على احسن

حل . ليت الأمر كان هكذا فيما يختص بشؤوننا الداخلية ! ولكني وطيب

الثقة في ( عشابت ) فإنها لن تخذلنا ولن تضن علينا بعونها في كربنا الحاضر

اني في قلق على يحموز لضعفه المستمر !

فابتسم ابيي وهز كتفيه قائلا :

- مسكين يحموز انه كان ضعيفا باستمرار !

وهنا رد حوري قائلا :

- كلا .. بل كان دائما في صحة جيدة .

فقال ابيي مؤكدا قوله :

- ان صحة الانسان تتوقف على حالته الروحية . ويحموز لم تكن له

حبوية أبدا . لقد كان يخاف حتى من إصدار الأوامر .

فقال أمحوتب :

- لم تكن هذه حاله في العهد الأخير .. لقد برهن فيه على انه أهل للسلطة

وقد أدهشني ما اعتراه من التغير . ولكن هذا الضعف في أعضائه يزعجني ،

وكان مرسو قد أكد لي انه متى زال أثر السم من جسمه لا يلبث قليلا حتى

يشفى .

وتابع أمحوتب :

- ولكن ما الذي ينبغي عمله ! فقد لجأنا الى عشابت وبعثنا بالهبات الى

المعبد ، برغم اني لا أعتقد ما يمتقده النساء من فائدة ذلك ، فماذا نفعله اكثر

من ذلك .

فقال حوري

- دع احد المعبد الموثوق بهم يجهز طعامه وليراقب ذلك المعبد باستمرار

على اي حال لن نخسر شيئاً اذا جربنا ذلك !

وعلى اثر ذلك غادر ابي الغرفة .. بينا حوري يشيمه بنظراته وكله حيرة .

وفي طريق ابي بعد مغادرته البيت غاضباً ، اصطدم بحنث من حيث لا يشمر فكاد بطرحها ارضاً من قوة الصدمة ..

ثم قال لها بحدة :

- ابعدي من طريق ابي يا حنث .. انك دائماً تزحفين مكذا وتقفين في الطريق ..

فوقفت تنظر اليه في دهشة وقالت :

- انك جاف يا ابي .. فقد رضضت ذراعي .

- هذا حسن فلاني ضجر منك ومن طرائقك . وخير لك ان تبادري بالخروج من هذا البيت ، والا فسأتولى انا امر اخراجك .

فلمعت عيناها بخنث وقالت :

- اذن انت تريد ان تخرجني من البيت .. اهذا جزائي يا ابي بعد كل ما منحته لكم من العناية والمحبة .. انك بادي الغضب يا ابي ؛ ما الذي اغضبك .. اخائف انت من شيء .

فنظر اليها بازدياد وقال

-- انك لا تخيفيني ابنتي الهرة المعجوز .

وتركها ومضى خارجاً من المنزل .

ومضت حنث بخطى بطيئة حتى اقتربت من غرفة بجموز ؛ فسمعته يتأوه ؛ ثم رآته يحاول النهوض من سريره ولكن ساقيه خذلناه فكاد يسقط على الأرض .

فخفت الى مساعدته وقالت له :

- هيا يا بجموز ارجع الى سريرك .

فنظر اليها بجموز ملياً وقال :

- انك لقوية يا حنث . إن من يراك لا يتصور قط انك بهذه القوة .

ثم عاد إلى فراشه فتمدد فوقه واستأنف كلامه قائلاً :

- شكراً لك ! لكن ما الذي دهاني .. إني مشرف على الموت

فقال حنث يحد :

- لا تقل هذا .. إن غيرك سيموت قبلك .

فقدم مستنداً على كوعه وحملق اليها وقال :

- ماذا تعنين يا حنث ؟

- إني أعرف ما أقوله .. انك لست أنت الذي عليه الدور في الموت .

\*\*\*

وقف كامني في طريق رنزنوب وقال لها :

- لماذا تتفادين لقائي يا رنزنوب ؟

فاحمر وجهها ولم تحمر جواباً ..

فماد يسألها :

- لماذا يا رنزنوب ؟ اخبريني عن السبب !

ولكنها لم تجب إلا بهز رأسها .. ومضت هنيئة وهي واقفة تتأمله وهو ينظر اليها .. وكانت تخشى ان يكون وجهه قد تغير كما تغير كل شيء في المنزل ..

ثم سرها أن رآته كما كان ؛ وان بقي ينظر اليها في جد ؛ دون أن يفتر ثفره عن ابتسامته المعتادة . ثم خفضت من بصرها اذ كانت دائماً تضطرب من نظراته . ويختلج جسمها من قربه . وتسرع دقات قلبها اذا



حدثها .

وعاد هو فسألها :

- لماذا تتفادينني يا رزنوب؟

فاستجمعت نبرات صوتها الهارب وقالت :

- إني لم أكن أقداداك . ولم ارك قادمًا !

فابتسم وقال :

- إنك لا تقولين الحق أي رزنوب الحسناء !

وسرت الرعدة في جسمها إذ شعرت بيده القوية الدافئة حول ذراعها ،

ولكنها سرعان ما حررتها منه قائلة :

- لا أحب ان يلمسني احد !

فابتسم وقال :

- لماذا تصدينني يا رزنوب ؟ إنك ما زلت في عنفوان الشباب قوية جميلة ،

فما يناقض الطبيعة ان تظلي حزينة على زوجك طول حياتك . سوف أبعثك

عن هذا المنزل فإنه مملوء بالموت والأرواح الشريرة . ستذهبين معي إلى حيث

تكونين في أمان !

فبقيت رزنوب ساكنة لا تنطق بلا أو نعم . لكنها أحست قلبها يبدق

سريعاً . وشعرت بضعف يعمري حواسها . وإلى جانب هذا الشعور الناعم ،

شعور الضعف والاستسلام ، تملكها شعور آخر بالمداء والتعدي ، وقالت

تحدث نفسها :

« ان لمسة من يده لذراعي تجملني أفقد كل قواي ! انه قوي ، عريض

الكتفين ضاحك الثغر ولكني لا أدري شيئاً عن ذهنه وما يدور فيه ! ولا

أدري شيئاً عن قلبه ومبلغ وفائه . آه ! ما الذي أريده حقاً لا ادري . »

ثم قالت له

- لا اريد ان اتزوج ! اريد ان ابقى وحيدة لنفسى !

- إنك مخطئة يا رزنوب . انت لم تخلفي لتميشي وحيدة . إن يدك تنم

عن ذلك إذ ترمش في يدي . أنظري !

فجذبت يدها من يده يجهد وقالت له :

- انا لا أحبك يا كامني بل أحسبني أمقتك !

فابتسم وقال :

- لا أبالي مقتك لي ! إن البغض جد قريب من الحب وسوف نتحدث عن

ذلك مرة أخرى !

وتركها ومضى .

ومضت رزنوب في خطى بطيئة أيضاً ، حتى بلغت البحيرة حيث كانت

كبت فجلست يجانبها ، وأخذت كبت تكلمها فتزد عليها ردوداً قصيرة مبهمه

ثم سكتتا . وبغفلة قطعت رزنوب حبل السكوت بقولها :

- أترين أن اتزوج من جديد يا كبت ؟

فأجابت كبت قائلة دون اكتراث :

- لا أرى ضيراً في ذلك . فإنك في عنفوان الشباب ومرفورة الصحة .

ويمكنك أن تنجبي أطفالاً إلى جانب تبي !

فعدت تقول :

- أهذا كل ما في حياة المرأة يا كبت ! ألا شيء هناك غير شؤون المنزل

وإنجاب الأطفال وملاعببتهم في اوقات الفراغ عند البحيرة او تحت شجرة

الجبز ..

فأجابت كبت باهتمام :

- أجل هذا كل ما هم . المرأة وما يملأ حياتها لا شك انك تعلمين ذلك .

ولكنك تتكلمين وكأن المرأة أمة رقيقة في رأيك والواقع ان النساء هن

مكانة ونفوذ في مصر . فمن طريقهم ينتقل الميراث إلى اولادهن ان النساء

بشابة الدم الذي يجري في شرايين البلاد !

ثم اخذت رزنوب تتأمل تبيق وهي مشغولة بصنع قلادة من الزهر لدميتها،  
وقد قطبت جبينها قليلاً لاهتمامها بما تعمله ..

ونظرت كيت اخيراً إلى رزنوب متسائلة ثم قالت لها :  
- ماذا تريد يا رزنوب ! اني لم أفهم مرادك تماماً .

فتنهدت مرة اخرى وقالت

- لا شيء .. لا أعني شيئاً

ثم عادت تتطلع إلى ما حولها فسرهما منظر الأطفال اللاعبين في المساء ،  
وكيت جالسة ترقبهم في سكون ثم قالت بصوت خافت :

- ما أهدأ هذا المكان ! من الذي يتصور ان شيئاً فظيماً يحدث هنا .

وفي صباح اليوم التالي حدث في هذا المكان الهادئ نفسه إلى جانب البحيرة  
افظع مما استبعدت رزنوب ان يتصوره احد . فقد وجد ابي منبطحاً هناك  
على الأرض ووجهه في الماء وكان واضحاً ان بدأ امسكته وارغمته على اتخاذ  
هذا الوضع حتى اختنق وفارقتة الحياة .

- ١٢ -

جلس أحموتب منطوياً على نفسه وقد عاجله وهن الشيخوخة قبل الأوان  
فبدأ شيخاً محطماً ، مفضن الوجه ، ترتسم على وجهه ملامح الخوف  
والدهشة .

وجاءت حنث اليه بالطعام وراحت تغريه بتناوله قائلة :

- ماذا دهاك يا سيدي .. يجب أن تأكل لتتصرف عليك قوتك  
لكنه لم يستجب لاغرائها وقال :

- لماذا آكل يا حنث .. وما فائدة القوة ، لقد كان ابي قوياً بشبابه وجماله  
والآن ما هو ذا يرقد في الماء المالح القدر مات ابي يا حنث .. مات ابي العزيز  
آخر ابنائي !

فاقتربت منه حنث وهمست قائلة :

- كلا يا أحموتب لا يزال لك يحموز ، وفيه لك عزاء وسلوى .

فهمز رأسه ساخراً وقال :

- يحموز لا زال لي .. كلا هو ايضاً مقضي عليه ، إنما كلنا مقضي علينا  
اي سوء حل بنا جميعاً .. أكان على ان أعلم ان المصائب ستزل بنا لأنني  
اتخذت لي خدينة .. أم ترى عشابت تريد أن تنتقم مني .  
- كلا ليس ينبغي لك ان تقول ذلك . لم يمض إلا وقت وجيز منذ وضع

الوعاء المحفور عليه الاتماس في غرفة الهبات ، الا تعلم طول الوقت الذي يتطلبه التقاضي في هذا العالم الدنيوي والتأجيلات التي لا تنتهي في المحكمة المركزية ، والوقت الأطول من كل ذلك إذا عرضت الدعوى على الوزير ؟ إن العدالة هي العدالة في هذا العالم ، انها دائماً تسير ببطء ولكنها تعالج بالحق في النهاية !

فهز أحموتب رأسه مرقاباً

واستطردت حنث تقول :

- ثم لا تنس ان ابي ليس ابن عشايث ، بل كانت امه اختك الثانية واذن .. ليس هناك ما يضطر عشايث الى التعجل في الأمر ، اما يحموز فالأمر مختلف فيما يختص به ولا يمكن ان تهمله عشايث . ان يحموز سيبرأ من مرضه لا شك في ذلك ، لأنه لا شك في ان عشايث ستتولى امره .

فتنفس أحموتب الصعداء ثم قال :

- ان في كلامك عزاء كبير لي يا حنث وانك لتقولين حقاً ، فإن يحموز يستعيد قوته باطراد كل يوم ، انه ابن طيب مخلص ولكن ما اشد حزني على ابي ! لقد ذهب انصر ما يكون صحة وشباباً وجمالاً .

وعاد أحموتب يتأوه نادياً ولده . وقبعت حنث بين يديه كالكلب ، وتظاهرت بالبكاء .

ثم قال :

- آه من تلك الفتاة الملعونة ومن جاهلها ليتني لم تقع عيناى عليها .

فقال له حنث :

- صدقت يا سيدي ، إنما من بنات ( سبت ) ولا ريب في أنها برعت في

السحر !

وما اتمت جملتها . حق وصل إلى سمعها وقع عصا تفرع الأرض ثم ظهرت

ايزا قادمة تعرج الى الردهة ، وصاحت قائلة :

- ألم يبقى لأحد عقل في هذا البيت ؟ اليس لديك يا أحموتب من عمل الا أن تلعن تلك الفتاة البائسة التي لا ذنب لها إلا أن استجابت لرغبتك فجاءت معك من الشمال وما ذنبها إذ انغمست في مكر النساء . ان مسلك الغيباء الذي تعرضت له في الدار من زوجتي ابنيك كان لا بد أن يشيرها !

فرد أحموتب :

- اتسألين ما ذنبها يا أمي ؟ ألم يذهب ضحية مكرها وكيدها انسان من

أبنائي وهذا هو الثالث يوشك أن يلحق بها .

- إن هذا ما كنت انتظر ان أسمعه منك . ما دمت لا تنظر إلى الوقائع

كما هي . امح من ذهنك تلك الخرافة السخيفة التي تزعم ان روح فتاة ميتة

ينزل السوء بهذا المنزل .

إن رأس ابي لم تضعه في الماء إلا يد انسان .. ويد انسان ايضاً ولا شك

هي التي وضعت السم في النبيذ لسوبك ويحموز !

إن لك عدواً هنا في هذه الدار يا ولدي والدليل على ذلك انه منذ اتبعت

نصيحة حوري وصارت رتذب تمد طعام يحموز بنفسها أو تحت رقابتها .

وتحملة بنفسها اليه . منذ ذلك ويحموز يستعيد صحته وقوته كل يوم باطراد .

ان حنث تشجعك على هذا لأنها حمقاء ايضاً .

إن زوجتك المتوفاة عشايث قد تبذل نفوذها لمعاونتك في العالم الآخر

ولكنها لا تقدر أن تفكر بدلاً منك في هذا العالم . إن علينا ان نعمل والا

فستحدث وفيات جديدة !

- أنتمتقين يا أماء ان لي عدواً حياً في هذه الدار ؟

- نعم اعتقد ذلك لأنه هو الشيء الوحيد المعقول !

- إذا صح هذا كنا جميعاً في خطر !

- لا شك في اننا كذلك يا بني .. اننا جميعاً في خطر شديد . وهذا الخطر

لا دخل فيه للسحر وأرواح الموتى . انه خطر تسلطه علينا يد انسان حي

يعيش بيننا آمناً مطمئناً وهو الذي وضع السم في الطعام والشراب وهو الذي انسل وراء ابي العزير وهو عائد ليلاً من القرية وامسك رأسه قسراً في الماء حتى مات !

فأطرق المحوتب مفكراً ثم رفع رأسه اخيراً وقال لأمه :

- ان مثل هذا العمل يتطلب قوة وجراحة وحيلة وقد كان ابي قوياً .  
- اجل كان ابي قوياً جديراً بأن يرهب جانبه ولكنه كان قد شرب كثيراً من الجمرة في القرية ولعله انحفى من تلقاء نفسه ليفسل وجهه بماء البحيرة وفي هذه الحالة كان قليل من القوة يكفي لكي يدفع رأسه في الماء ويمسكه فيه حتى ترهق أنفاسه وتهدم حرركته . ومن الجائز جداً ان ابي لم يكن يتوقع من كان بجانبه حينذاك ان يخونه .

فبان الجد في وجه المحوتب وقال لأمه :

- ماذا تقولين ؟ اتعنين ان امرأة مثلاً قد اغتالت ابي وغدرت به ؟  
ان هذا محال . نعم هذا محال يا أماء ولو ان البيت فيه عدو لدود للأسرة إلى هذا الحد ما خفي علي امره !

- هناك شر يمكن بالقلب ولا يبدو على الوجه .

- اتعنين احداً من عبيدنا أو خدمنا ؟

- كلا ! إن العبيد والخدم لا يمكن ان يفكروا في ذلك .

- إذن أنت تمتقدين ان الجاني من بيننا نحن ؟ ولكن من يكون يا ترى !  
ان حوري كما تعلمين بمثابة فرد من افراد الأسرة وقد برهن على إخلاصه وأثبت انه أهل للثقة . وليس كامني بغريب عنا فهو يمت اليما بصلة القرابة ، وقد برهن على إخلاصه يجده في خدمتي وفضلاً عن ذلك جاءني صباح اليوم يطلب إلي أن أوافق على زواجه برنزنبا !

فاهتمت ايزا بهذا النبأ وقالت :

- هل طلب اليك ذلك ؟ وبماذا أجبت ؟

وماذا أقول له ؟ أهذا وقت مناسب لطالب الزواج ؟  
- وما الذي قاله كامني بعد أن أخبرتته بأن الظرف غير مناسب ؟  
- ذكر انه يعتقد عكس هذا ، لأن رنزنبا ليست في أمان هنا .

- هل هي كذلك حقاً ؟ لقد كنت أحسبها في أمان وكذلك حسبها حوري . ولكن الآن !

- هل في الامكان أن تجري مراسم زواج ومراسم وفاة في وقت واحد ؟  
ان هذا الأمر غير لائق . إن الاقليم كله سيتحدث عن ذلك لو انه حدث .  
وابتسمت ايزا ابتسامة متجممة .

فتنظر اليها المحوتب وقال :

- إن ما تقولينه ايس مزاحاً ولكنه الحقيقة الواقعة وبالأسف !

فقالت ايزا بحزم :

- لا تثق بأحد هذا أهم شيء ، لا تثق بأحد !

وهنا بدأت حنث تنتحب وقالت لايذا :

- لماذا تنظرين الي ؟ اني واثقة بأنه إذا كان احد هنا جديراً بالثقة فهو أنا !

فالتفت المحوتب الى حنث وقال لها :

- لا تبكي يا حنث ! اني اثق بك ، بل اني لعلى يقين من انك صادقة خاصة .

فقالت له ايزا :

- انك لا تعلم شيئاً يا المحوتب . لا أحد منا يعلم شيئاً ، وهذا هو وجه الخطر المحقق بنا .

وصاحت حنث :

- انك تتهميني يا سيدتي وهذا شيء لا يطاق .

- لا أقدر ان أتهم احداً ! انه احتمال لا اكثر وليس عندي دليل قاطع

ضد أحد .

فقال لها أمحوتب باهتمام

- احتمال ؟ هل اتجه ذهنك الى اتهام أحد ؟

- نعم ، مرة ومرتين وثلاثاً سأصدقك القول : لقد ارتببت أولاً في إبي ولكن إبي مات ، وإذن كان ظني خاطئاً ، ثم ارتببت في شخص آخر ولكفي في اليوم الذي مات فيه إبي لاح لي احتمال ثالث .  
وتوقفت عن الكلام هنيئة ثم قالت :

- هل حوري وكامني في الدار ؟ ابعت في طلبها .. واطلب رنزناب أيضاً من المطبخ ، وكبت ويحموز . ان لدي شيئاً يجب ان يسمعه كل من بالدار .



نظرت ايزا إلى أفراد الأسرة المحتممين حولها ، ولم يفتها ان تلاحظ برغم ضعف بصرها نظرة يحموز الجادة الرقيقة ، ولا ابتسامة كامني ، ولا الخوف الظاهر في عيني رنزناب ، والجمود وعدم الاكترات في ملامح كبت ، والألم والعذاب في وجه أمحوتب ، والفضول بل السرور في عيني حنت !

ثم قالت لنفسها : > ان وجوههم لا تنم عن شيء يفيدني ، فهي إنما تبدي تأثرها الخارجي ولكن اذا كنت على صواب فلا بد أن يخون أحدهم مظهره ،  
ثم قالت بصوت مرتفع :

- لدي شيء افضي به اليكم جميعاً ، ولكفي سأكلم حنت أولاً ، وأمامكم جميعاً ..

فتفريت ملامح حنت ، واختفت من وجهها امارات الفضول والسرور ، وحل محلها الفزع وقالت ممترضة :

- إنك ترتابين في يا ايزا . واقدم كنت أعرف ذلك . إنك ستقيمين قضية ضدي . وسوف يحكم علي دون أن يسمع لي قول .  
فقال ايزا ساخرة :

- بل نحن نسمعك جميعاً !

ونظرت إلى حوري فرأته يبتسم . ثم استطرقت حنت فقالت مضطربة :

- إني لم أرتكب إثماً ! إني بريئة .

- بل قلت يا حنت كلاماً سمعته بأذني . لقد قلت انك تعرفين شيئاً ما عن حوري . والآن أخبرينا ماذا تعرفين عنه ؟  
فبدأ شيء من الدهشة على حوري وقال :

- أجل يا حنت ماذا تعرفين عني ! هيا أذكريه .

فعدت حنت إلى مكانها وردت :

- لا أعرف شيئاً . وماذا أعرف عنه ؟

- هذا ما نطلب اليك أن تذكريه !

فهزت حنت كتفيتها وردت :

- لقد كان ذلك كلاماً لا معنى له . لم أكن أقصد شيئاً .

- سأعيد على مسمعك ما قلته . لقد ذكرت اننا جميعاً نحتقرك ولكنك تعرفين الكثير مما يجري في هذا البيت ، وإنك ترين أكثر مما يراه الدهاة . ثم قلت ان حوري حين يقابلك ينظر اليك وكأنك غير موجودة وكأنه يرى شيئاً وراءك ، شيئاً ليس موجوداً .

- إنه دائماً ينظر إلي هكذا . إنه ينظر إلي وكأنني حشرة أو شيء لا قيمة له مطلقاً .

- ولكن هناك جملة ثبتت في ذهني وهي وصفك لتظرته اليك بقولك : وكأنه يرى شيئاً غير موجود . كما قلت لي أيضاً : إن من الخير له أن ينظر

إلي . وبمدئذ تكلمت عن ساتيبي . أجل عن ساتيبي ! وقلت : انها كانت  
ماهرة ولكن أين هي الآن ؟ . اليس كذلك يا حنث ؟

ثم نظرت ايزا حولها وقابعت :

- ألا يعني ذلك شيئاً ؟ . فكروا في ساتيبي التي لم تعد على قيد  
الحياة . وتذكروا أن الانسان يجب أن ينظر الى شخص لا الى شيء غير  
موجود !

وساد صمت رهيب ثم أخذت حنث تصرخ قائلة :

- لم أقل شيئاً .. أنقذني يا سيدي . لا تدعها .. لم أقل شيئاً .

واشتد الغضب بالمحوتب حتى لم يقدر أن يكظمه وصرخ قائلاً :

- هذا شيء لا يحتمل ! إني لا أسمع بأن تتهم هذه المرأة المسكينة وتزوع  
هكذا ! ماذا عندك ضدها ؟

وقال يحموز بخوفه المعتاد :

- إن أبي على صواب . اذا كانت لديك تهمة واضحة ضد حنث فابريها  
يا جدتي .

فقالت ايزا بهدوء :

- اني لا أتهمها !

ثم استندت الى العصا وبان جسمها وكأنه قد انكش . وهنا التفت يحموز  
الى حنث وقال :

- ان ايزا لا تتهمك باحداث اللفظانم التي حدثت . ولكن اذا صح ما  
فهمته منها فهي تظن انك تعرفين شيئاً تكتمينه .. فماذا تعرفين ؟

ولكن حنث هزت رأسها وقالت :

- لا أعرف أي شيء مطلقاً .

- تأكدي مما تقولين لأن المعرفة خطيرة !

- لا أعرف شيئاً وأقسم بالآلهة التسمية وبالإلاهة ( معات ) بل أقسم

بامم ( رع ) نفسه !

وهنا قالت ايزا :

- الآن أريد العودة الى غرفتي .

فمرع اليها حوري ورتزنب لمساعدتها فقالت :

- لا أريدك أنت يا رتزنب ، أريد حوري فقط .

ثم استندت اليه حتى وصلت الى الغرفة . فلما نظرت اليه رآته عابساً ،  
فقال لها :

- لقد كنت غير حكيمة يا ايزا لقد جازفت مجازفة خطيرة !

- اذن .. أنت تعتقد مثل ما أعتقد أنا ؟

- قد اعتقدت ذلك منذ حين ، لكن ليس عندي حق الآن دليل ولا ظل  
من دليل ، وأنت كذلك أيضاً ، وكل ما لديك استنتاج لا أكثر ! الآن يجب  
أن تحذري يا ايزا .. انك أصبحت في خطر .

- والآن وقد أصبح الأمر في يدك يا رنزناب : ماذا تريد ؟  
فرددت رنزناب بصرها بين أبيها ويحموز حائرة وقالت :  
- لا أدري !  
وتابع أمحوتب يقول :

- لو كانت الظروف عادية لكان أمامنا فسحة من الوقت للبحث ، ان لي  
أقارب آخرين ، وكان في مقدوري ان اختار منهم اليق الأزواج لك . لكن  
في هذه الظروف لا يطمئن الإنسان الى الحياة .

ثم ضعف صوته وخفت وهو يتم كلامه قائلاً :

- هذا هو الموقف يا رنزناب . ان الموت يهددنا نحن الثلاثة ، أنا وأنت  
ويحموز ، ولا أدري أيننا يموت قبيل الآخرين ، ولذا ينبغي لي ان أدبر  
أموري ، واذا حدث شيء ليحموز ، فإنك وانت ابنتي الوحيدة ستحتاجين  
الى رجل يقف الى جانبك وبشاركك في الميراث ويقوم بمهام المزرعة التي  
لا يمكن ان تتولاها امرأة ، لأنه من يدري متى تحين ساعتي ؟ ولقد رتبنت  
في وصيتي أمر الوصاية على أولاد سوبك ، على أن تكون لحوري اذا لم يكن  
يحموز على قيد الحياة ، كذلك دبرت أمر الوصاية على أولاد يحموز ، اليس  
كذلك يا يحموز ؟

فأرماً يحموز برأسه موافقاً وقال :

- ان حوري دائماً حبيب الى قلبي وكأنه فرد منا .

- صدقت ، ولكنه مع هذا ليس من أمرتنا ، أما كامني فهو من  
ذري قربانا ، فهما نقلب الأمر على وجوهه نجده أحسن زوج أمامنا الآن  
لرنزناب .

ثم نظر اليها متسائلاً ، فمضت قائلة :

- لا أدري !

فعاد أمحوتب يقول لها :

- انه وسم الطلعة سار الصعبة اليس كذلك ؟  
فاكتفت بأن أوامات برأسها موافقة ، ثم سألتها يحموز :  
- لعلك لا تريدن مع هذا ان تتزوجي به ؟

فنظرت رنزناب الى أخيها نظرة شكر ، اذ أدركت انه لا يريد منها ان  
تتجمل في الارتباط بشيء لا تتراح اليه وردت :

- اني في الحقيقة لا أدري ماذا أريده ، ان هذا غباء ولكنني في الواقع  
غبية اليوم ، لعل هذا من أثر الفزع الذي نعيش فيه !

- لو ان كامني صار لك زوجاً لشعرت بأنك في رقاية .  
وهنا قال يحموز لأبيه :

- ألم يكن يخطر ببالك قط ان تزوجها حوري ؟  
- هذا أيضاً شيء في الامكان .

فواصل يحموز كلامه قائلاً :

- لقد ماتت زوجة حوري وهو شاب صغير ، ورنزناب تعرفه حق المعرفة  
وتقبل اليه !

ثم أخذ هو وأبوا يناقشان مسألة زواج رنزناب ، بينما جلست هي  
ركانها ترى رؤيا في المنام ، وقد شعرت بأن يحموز يماونها على ان تختار

من تريده حقاً ، ولكنها كانت في تلك الساعة جامدة بلا حياة مثل دمية  
ابنتها تيتي !

وبغثة قطعت حديثها وقالت :

- سأزوج كامني ما دام أبي يراه لانقأ لي !

فأبدى أمحوتب ارتياحه لذلك وخرج توأ من القاعة ، بينما دعا يحموز منها  
فوضع يده على كتفها قائلاً :

- أراغبة انت حقاً في هذا الزواج يا رنزنوب ؟

وقد راعها ما بان عليه من عزم فقال :

- سأعارض أبي في هذه المسألة ، انه لا يمكن ان يرغمني على الموافقة !

- انك شفيق بي يا يحموز ، لكن ثق اني في هذه المسألة لم أستسلم مرغمة

ان الحياة القديمة التي الفتها في صفري رجنت لأستعبدتها هنا قد انتهت وسأبدأ  
مع كامني حياة جديدة .

- أأنت واثقة من انك ستكوفين سعيدة مع كامني ؟

فنظرت اليه دون ان تجيب بأية كلمة ، ثم أوامت برأسها موافقة ،  
وغادرت منصرفة الى البحيرة عبر صحن الدار ، فلما اقتربت من طرف البحيرة  
حيث كان كامني يلعب تيتي ، وقفت تراقبها من حيث لا يشعران بذلك .  
وكان كامني مرحاً كما دته بادي السرور بلعبة الطفلة . فشعرت رنزنوب بالميل  
اليه وقالت لنفسها :

- سيكون نعم الأب لتيتي !

ثم أدار كامني رأسه فرأها ، فوقف ضاحكاً يقول :

- قد جعلنا من دمية تيتي ( كامن - كا ) . وهو الآن يقدم الهدايا ويقوم

بالمراسم في المعبد !

وقالت تيتي يحد :

- ان اسمه مرتتاح ، وله طفلان وكانب مثل حوري !

فضحك كامني وقال ،

- إن تيتي باهرة الذكاء ، وهي أيضاً جميلة قوية !

ثم أخذ يردد بصره بين الطفلة وأمها ، وأدركت رنزنوب من نظراته أنه  
يفكر في الأطفال الذين سوف تلد لهم له ، فأحست رعشة طرب لذلك ، فابتسمت  
له ابتسامة رقيقة وقالت :

- لقد كلمني أبي ..

فسارع إلى سؤالها في لهفة :

- وأنت توافقين ؟

فترددت لحظة ثم قالت :

- أجل .. أوافق !

- إذن ، سنركب معاً زورقاً في رحلة على صفحة النيل ؟ هذا  
أقصى مناي !

وتذكرت إذ سمعته يقول ذلك كيف رآته لأول مرة ، لقد جاء يومئذ  
راكباً زورقه ، وعادت بها الذاكرة إلى ما قالته لها كيت يوماً :

- إن نساء البيت يجب أن يكن يداً واحدة .

وقالت لنفسها :

- نساء البيت ؟ أجل ، وهل أنا ، في النهاية ، إلا واحدة من نساء  
البيت ؟

ثم سمعت كامني يهتف بها في صوت ينم عن انزعاج :

- فيم تفكرين يا رنزنوب ؟ ألا تأتين معي الآن إلى النيل ؟  
فقالت له :

- أجل يا كامني ، سأتي معك .

فبدأ البشر في وجهه ، وخف إلى حيث كانت الطفلة تواصل  
اللعب .



فأنهضها في عطف وهو يقول لرزنوب :

- ستكون تيتي معنا !

\*\*\*

مضى الزورق منساباً على صفحة النيل ، وفيه رزنوب وكامني وتيتي ..  
فقد بعدوا عن الموت ، ومن الخوف من الموت ، وهذه بداية الحياة الجديدة  
لرزنوب ، وكان كامني يكلمها فتجيبه وكأنها في غيبوبة . فقد كانت تحدث  
نفسها قائلة :

- هذه حياتي ، ولا مفر منها ! لكن لماذا أذكر المفر ؟ وإلى أي مكان  
يمكنني ان أفر ؟ هذه هي الحياة ، ولا مفر منها .

وأرسي كامني الزورق ، فخطت منه إلى اليابسة ، وحمل هو تيتي لاحقاً بها  
وقد انصفت به الطفلة وأحاطت عنقه بذراعيها حتى ثنت يدها سلسلة التيمية  
التي يحملها ، وهي شارة ذهبية تمثل عنق .

وأمسك كامني بتلك التيمية ، وراح يثنيها بأصابعه القوية حتى شطرها  
نصفين ، ثم مده يده بأحدهما إلى رزنوب قائلاً :

- خذي هذا ، وسأخذ أنا الشطر الثاني ، دلالة على أننا نصفنا جسم  
واحد !

ومدت يدها لتأخذ شطر التيمية ، لكنها في هذه اللحظة تذكرت شيئاً  
فارتدت يدها بحركة آلية !

وبغت كامني لذلك وسألها :

- ماذا بك يا رزنوب ؟

فتمتمت قائلة :

- نوفريرت !

وازدادت دهشته وسألها :

- ماذا تعنين ؟ ما لنا ولنوفريرت الآن ؟

- قد كان لنوفريرت تيمية مكسورة كهذه . فقد وجدتها في علبة حليها ،  
إنك أنت الذي أعطيتها إياها . نعم أنت ونوفريرت ! الآن أدركت لماذا  
كانت قاعسة ؟ ! والآن أيضاً عرفت من وضع علبة الجلي في غرفتي .. نعم  
يا كامني إني الآن أدركت كل شيء !

ولم يعترض كامني ، فوقف ينظر إليها ، ثم قال وقد فارتقت فغره  
إبتسامته الممودة :

- إني لن أكذبك القول يا رزنوب .

وسكت قليلاً وقد قطب جبينه وكأنه يرتب أفكاره ثم قال :

- إنه يسرني أنك عرفت الحقيقة ، وإن لم تكن كما تتصورينها تماماً !

- أنك أعطيت نوفريرت نصف التيمية المكسورة - كما أردت أن  
تعطيني شطر هذه التيمية . لا شك في أنكما كنتما شطرين ، لجسم  
واحد !

- أنك غاضبة يا رزنوب ، غير ان غضبك يسرني لأنه دليل على أنك تحبينني  
لكن مع هذا يجب ان أشرح لك الأمر : إني لم أعط نوفريرت تلك التيمية ،  
بل هي التي أعطتني إياها !

وسكت لحظة ثم قال :

- ربما لا تصدقينني ، لكن هذه هي الحقيقة .

- لا أريد الا ان أصدقك ، وقد يكون ما قلته لي هو الحق .

وبدت لمخيلتها نوفريرت بوجهها الجميل الحزين ، واستمر كامني يقول :

- حاولي ان تفهمي يا رزنوب ، فقد كانت نوفريرت بارعة الجمال ، وقد سررتني  
تعلقها بي وملاً نفسي غروراً .. غير أنني لم أكن متيماً بحبها !

فسمرت رزنوب بغمرة من الشفقة ، كلا ، ان كامني لم يحب نوفريرت ،

ولكن نوفريرت كانت تحبه حباً يائساً مرأ ، إنها في هذه البقعة بالذات على شاطئ النيل قد كلمت نوفريرت صباح يوم وعرضت عليها المودة والمحبة ، وتذكرت موجة البنفس والشقاء التي واجهتها نوفريرت بها ، في تلك اللحظة .. إن السبب واضح الآن كل الوضوح . يا لنوفريرت البائسة ! فقد كانت خدينة لشيخ كثير الجلبة ، وكان يأكل قلبها حب شاب وسيم لا يكثر لها !

فواصل كامني كلامه قائلاً :

- ألا تعلمين يا رتزنوب إنني لم أكد أجيء الى هذا البيت وأراك حتى أحببتك ؟ واني منذ تلك اللحظة لم يملأ قلبي سواك ؟ وقد أدركت ذلك نوفريرت !

ففكرت رتزنوب وقالت لنفسها :

- أجل قد أدركت نوفريرت ذلك ، ولا شك انها أبغضتني منذ تلك اللحظة وهي اذن ما كانت تستحق الملامة .  
ثم قال كامني :

- اني لم أرد ان أكتب لها ذلك الخطاب الى والدك ، ولم أحب ان تكون لي يد فيما تدبره ، ولكن كان من الصعب ان أمتنع !

فقال رتزنوب وقد نفذ صبرها :

- أجل ، أجل . كل ذلك لا يهم الآن . ان نوفريرت فقط هي التي أفكر فيها . فقد كانت تحبك كثيراً .

- لكنني لم أبادلها حباً بحب !

- لعل هذا لأنك قامى القلب !

- كلا ! لكنني رجل وهذا كل ما في الأمر ! . واذا كانت هناك امرأة

قد أرادت لنفسها التماسه بسببي فإن هذا يزعجني ! هذه هي الحقيقة .. اني لم أحب نوفريرت بل أحببتك أنت .

وهنا لم يسع رتزنوب إلا أن تبسم .  
بينما استطرد كامني فقال :

- لا تدعي نوفريرت بعد أن ماتت تحدث شقاقاتاً بيننا نحن الأحياء ، إنني أحبك يا رتزنوب ، وأنت تحبيني ، وهذا كل ما همنا !  
فقال رتزنوب لنفسها :

« أجل هذا كل ما همنا » .

ثم نظرت إلى كامني ، وكان قد مال برأسه جانباً ، وبدأ على وجهه التوسل ورأته في عنفوان الشباب .. فقالت لنفسها :

« انه على حق .. لقد ماتت نوفريرت . أما نحن فعلى قيد الحياة ! اني افهم الآن سبب بغضها إياي ، وانه ليعزني انها قاست كثيراً ، ولكن لم يكن ذلك ذنبى .. لم يكن ذنبى أن كامني أحبني دونها . فإن مثل ذلك يحدث كثيراً بين الناس ! »

وكانت تبتغي تلعب على شاطئ النهر فجاءت إلى أمها تقول :

- ألا نعود إلى البيت الآن !

فقال لها أمها بحسرة :

- أجل سنعود الآن إلى البيت

وساروا صوب البيت وكانت تبتغي تجري أمامها ..

وقال كامني بارتياح :

- إنك سمحة الخلق يا رتزنوب فوق كونك جميلة . هل بقيت الصلة بيننا كما كانت ؟

- أجل يا كامني .

- إنني هناك على النهر قد شعرت بالسعادة !

- وأنا أيضاً !

فنظر اليها ملياً وقال

- نعم ، إنك كنت بأدية السعادة ، ولكنك كنت تفكرين في شيء بعيد ،  
وأريد أن تفكري في أنا !  
- لقد كنت أفكر فيك

فأمسك يدها وأبقاها بين يديه ، فلم تحاول جذبها ، وشعر بها ترتجف  
في يده وأحس بأنفاسها وقد زادت سرعة ، فشعر بالطمأنينة .

\* \* \*

دعت رنزنوب حنث إلى غرفتها ، فأقبلت هذه مسرعة ووقفت بين يديها  
ممتثلة ، ثم ففرت فإها دهشة إذ رأت علبة الحلوى والتميمة المكسورة في يد  
رنزنوب ، فقالت لها هذه :

- إنك وضعت هذه العلبة في غرفتي ، اليس كذلك يا حنث ؟ لقد كنت  
تريدن أن أجد هذه الحلوى وأن ..

فسارعت حنث إلى إتمام عبارة رنزنوب قائلة :

- وأن تجدي نصفها الآخر أحسناً .. ها أنت قد وجدتها .

وضحكت ضحكة خبيثة ، فقالت لها رنزنوب :

- إنك ترأحين إلى إبلام الناس يا حنث ، وأنت لا تصرحين بما في فكرك  
ولكنك تصبرين وتصبرين حتى تأتي اللحظة التي ترضينها ، إنك تكرهيننا  
جميعاً ، ولقد كنت دائماً تكرهيننا !

- إني واثقة بأنك لا تعنين ما نقولين ..

ولكن صوت حنث كان يدل على الشهادة ، فقالت لها رنزنوب :

- لقد أردت إحداث شقاق بيني وبين كامني ، حسناً إذن فأعلمي أنه لم

يحدث بيننا شيء من ذلك !

- جميل منك ان تصفحي ، إنك مختلفين كثيراً عن نوفريرت !  
فأسكتتها قائلة :

- لا أريد أن أتحدث عن نوفريرت .

- هذا خير لك .. إن كامني حسن الحظ كما أنه وسيم الطلعة ، وقد كان  
من حسن حظه ان نوفريرت ماتت في الوقت المناسب ، وإلا لأحدثت له  
متاعب شديدة عند أبيك ، وما كانت لتسكت على زواجه بك ، لأنها ما  
كانت لتطبق ذلك ، بل أعتقد انها كانت تجد وسيلة لمنعه .

فنظرت اليها بيفض وقالت :

- إن لسانك ينفث السم دائماً ، أنت له مثل لدغة العقرب ، ولكن لا  
يمكنك ان تجعليني شقية .  
فقالت حنث :

- هذا بديع ! اليس كذلك ؟ إنك متيعة حياً .. والحق ان كامني شاب  
جميل ، كما انه يعرف كيف يفني أغاني الحب ، ولقد فاز دائماً بما أراد لأنه  
جسور . حقاً اني لمعجبة به !  
فسألته في حدة :

- ماذا تريدن أن تقولي يا حنث ؟

- أقول لك اني معجبة بك اني واثقة من انه بسيط مستقيم حقاً ولا يتظاهر  
بذلك ! ان المسألة كلها كاحدى القصص التي يرويها القصاص في الأسواق :  
الكاتب الشاب الفقير يتزوج ابنة سيده ويقاسمها الميراث ثم يعيشان في هناءة !  
ما أحسن حظ بعض الشبان ذوي الوسامة !

فنظرت اليها بازدياء وقالت :

- حقاً .. ان ظني لم يخب فيك يا حنث ، انك تكرهيننا من كل  
قلبك !

- كيف تقولين ذلك يا سيدتي ؟ لقد خدمتك كالأمه المستعبدة منذ

ماتت أمك !

وكان في صوتها رنين الظفر ، بدلاً من عويلها المممود ، فنظرت رنزنبا  
ثانية الى علبة الحلوى ، وخطر لها بغتة خاطر آخر فقالت لها :

- انك أنت أيضاً التي وضعت قلادة الأسد الذهبي في هذه العلبة ، لا  
تنكري ذلك يا حنت فإني أعلم !

فزال مظهر الظفر فجأة من حياها وحل محل الرعب وقالت :

- لم يسمني سوى ذلك يا سيدتي ، لقد كنت خائفة ..

- ما الذي أخافك ؟

فاقتربت منها حنت وقالت بصوت خافت :

- ان نوفرنت كانت قد أعطتني هذه القلادة ، ولقد أعطتني هدايا غيرها

فقد كانت نوفرنت سخية كما تعرفين ، أجل لقد كانت كريمة !

فهمزت رنزنبا رأسها وقالت :

- لقد كانت تدفع لك أجراً عالياً !

- ليس محيلاً منك أن تنظري الى الأمر هذه النظرة ، ولكنني أقول لك

كل شيء عنه . لقد أهدت الي قلادة الأسد الذهبي ومشبكاً من حجر الجمش

وشيناً آخر أو شينين ، ولما جاء ذلك الغلام بقصته التي زعم فيها انه رأى

إمرأة لابسة تلك القلادة ، خفت أن يظن اني أنا التي وضعت السم في النبيذ

ليحموز وسوبك ، ولذا وضعت القلادة في هذه العلبة !

فتأملتها ملياً ثم سألتها :

- أهذه هي الحقيقة يا حنت

- أقسم انها الحقيقة ، لقد كنت خائفة !

فنظرت اليها متمجبة وقالت :

- إنك ترتعشين يا حنت ، وانك خائفة الآن ولا شك !

- أجل اني خائفة ، وهناك أسباب تبرر خوفي !

ما هذه الأسباب يا حنت ؟ أريد أن أعرفها

فنظرت حنت حولها مرقاعة ولم تجب ، وعادت رنزنبا تقول لها .

- تكلمي يا حنت ، خبريني ما هذه الأسباب ؟

وبقيت حنت مترددة بعض الوقت ثم قالت لها :

- ليس عندي ما أخبرك به !

- انك تعرفين اكثر مما ينبغي يا حنت ، ولقد كنت دائماً تعرفين اكثر

مما ينبغي ، وكنت تستمتعين بذلك ، ولكن الآن أصبح هذا خطراً عليك ،

اليس كذلك ؟

فهمزت حنت رأسها ثم ضحكت بخبث وقالت :

- صبراً يا سيدتي ، اني سوف أمسك السوط يوماً ما في هذا البيت

وأفرقه صبراً !

- انك لن تقدرى على ابدائي يا حنت ، فإن روح أمي لا ترضى ذلك !

فتغيرت سحنة حنت وبدأ الشر في عينيها وقالت :

- لقد كنت أبغض أمك ، كنت دائماً أبغضها . وأنت لك مثل عينيها

ومثل صوتها ومثل جمالها وتبجحها ، اني ابغضك !

فضحكت قائلة :

- أخيراً أرغمتك على أن تقول لي الحق !

\* \* \*

أما المحرقت فقد صار خيالاً لشخصه السابق اذ نحل جسمه وصار ضجيراً

منبرماً ، وترك تفاخره واعتداده بنفسه ، والقى جل اعتماده على رأي امه

وتدبيرها ، وقد اجتمع بها قبل أن يفتح رنزنبا في أمر زواجها ، ليستشيرها

في الأمر ، فأضمت معه ساعة أو أكثر وهي تكعد ذهنهما وتقلب الأمر على مختلف وجوهه .

ثم وافقت أخيراً على ان زواج رنزنوب مما تقتضيه الحكمة ، ورأت ان الوقت لا يتسع للبحث عن البق زوج لها بين شباب الأسرة ، ولا سيما ان مهمة الزوج المطلوب لن تتمدى ادارة الميراث الذي ينحدر اليها والى اطفالها ، وعلى هذا انحصر البحث في اثنين من المرشحين لهذا الزواج هما : حوري بحسبانه رجلاً مستقيماً صادق الود للأسرة وابن زارع صغير من جيرانها في الأرض ، وكامني الشاب الوسيم الذي يمت للأسرة بصلة القرابة .

وقد وازنت بين هذا وذاك بعناية ودقة قبل أن تدلي برأيها ، لان كلمة واحدة في غير محلها كانت جديرة بأن تحدث مأساة ، ثم أفصحته عن رأيها بقوة فقالت :

- ان كامني ولا ريب هو الزوج اللائق لحفيدتي ، واذا شئت رنزنوب فإن معدات الزواج يمكن أن تتم خلال أسبوع مراعاة للحداد ، هذا الى ان كامني شاب لطيف ، فإذا تزوجها فإنها ينجبان أطفالاً احماء .

وعادت المجوز الى غرفتها من عند المحوتب ، وهي تحدث نفسها بأنها تصرفته في ذلك الامر على مقتضى الحكمة وبما هو خليق بأن يؤدي الى الطمانينة والامان .

ولما دخلت غرفتها ، نظرت حولها مراقبة ، واهتمت بدن النبيذ خاصة ففحصته ، والفته مغطى مختموماً كما تركته ، وكانت دائماً تختمه كلما غادرت الغرفة ، وتأخذ الختم معها معلقاً في رقبتها !

انها لا تجازف بحياتها ! وليس من السهل أن تقتل امرأة عجوز ، فإن المعجزات يعرفن قيمة الحياة ، ويعرفن معظم الحيل كذلك !  
وفي الغد سألت خادمتها الصغيرة :

- أين حوري ..

- أحسبه في المقبرة بالقرب الصخرية .

فبدت في وجه إيزا دلائل الارتياح ، وقالت للخادمة :

- اصعدى اليه واخبريه اني أريد أن يقابلني هنا صباح غد ، بعد أن يذهب أمحوتب ويحموز وكامني إلى الحقل وبعد أن تذهب كيمت إلى البحيرة مع اطفالها .

ثم قالت تحدث نفسها بعد انصراف الخادمة :

« أجل ، يجب أن أبحث الأمر مع حوري على انفراد ، بعد أن أبعث ببحث أيضاً إلى محل النسيج ، وسأخاطبه في كل ما يتخالج ذهني ، » .

ولما عادت الفتاة الزنجية تنبئها بأن حوري سينفذ أمرها ، تنهدت بارتياح ، لكنها ما لبثت أن شعرت بانتشار التعب في جسمها كله ، فأمرت الفتاة بأن تحضر لها الدهان المعطر ، وأن تدلك لها جسمها به ، ومرعان ما خف ألم الروماتيزم الذي في عظامها . وأخيراً وافاها النوم فاستراحت من مخاوفها إلى حين !

ولما استيقظت إيزا في صباح اليوم التالي ، عجزت من اشتداد البرد إلى حد أفقد يديها وقدميها الاحساس ، ثم خيل اليها أن المحول ينتشر في جسمها كله وان ذهنها يشل عن التفكير ، وقلبها ونيد الحفنان فقالت تحدث نفسها :

« أهذا هو الموت ؟ انه إذن لموت عجيب ليست له مقدمات ، ولم يسأت به نذير ! أهكذا يموت المعجزات ؟ حسناً .. انه ليس شيئاً مؤلماً على كل حال !

ثم خطر لها خاطر روعها . ان هذا ليس هو الموت الطبيعي ، ولا ريب ان الصدر قد دهمها في الظلام ، إنه السم ! ولكن كيف كان ذلك ؟ ومق ؟ ان كل ما أكلته أو شربته قد فحص أولاً وذاقه عبد حق استوثقت من خلوه من السم ، ولم يكن هنالك منفذ لأي خطأ او غفلة !

وحاولت أن تكشف خفية الأمر بالبقية الباقية من وعيها وذكاها .. أجل

يجب ان تعرف قبل ان تموت !

وشعرت بزيادة الضغط في قلبها ، ثم بالبرد القاتل ، ثم بصعوبة التنفس .

كيف استطاع العدو أن يفعل بها ذلك ؟

وبفته لاحت لها الحقيقة الرهيبة من ذكرى قديمة .. أجل فروة خروف  
أزيل منها الصوف . وكتلة من الدهن المعطر .. لقد كان أبوها يجري تجاربه  
عليها ليثبت ان بعض السموم يمكن أن يتشريها الجلد ، إذن فهو دهن الصوف  
الدهان المصنوع منه !

وهذا هو سبيل العدو اليها ، لقد وضع السم في وعاء الدهن المعطر ، الذي  
لا غنى للمرأة المصرية عنه !

وغدا يأتي حوري فلا يعلم ، ولا تستطيع اخباره بما حدث !

وفي الصباح جرت الأمة الزنجية الصغيرة حول البيت تصيح :

- سيدتي ايزا ، سيدتي ماتت وهي ثائمة .



وقف المحووب ينظر الى جثمان امه ، وكان يبدو عليه الحزن ، ثم أعلن  
لمن حوله انه لا يشك في انها ماتت ميتة طبيعية ، متأثرة بالشيخوخة ،  
ومضى فقال :

- نعم ، كانت كبيرة السن ، وقد حان الوقت لأن تذهب الى اوزيريس  
ولا شك ان احزاننا ومتاعبنا قد عجلت بنهايتها .. ويبدو ان الموت قد  
واتها في هدوء . حمداً لرع على انها ماتت ميتة طبيعية ، دون تدخل انسان  
او روح شريرة ، ليس للعنف اثر ! انظروا ما أهدأها في رقدتها !

وأخذت رنزنوب تبكي ..

واخذ حوري يواسيها ..

ومضت حنت تتأوه وتهز رأسها وتقول :

- ان موت ايزا خسارة ، لقد كنت احبها واخلص لها .

وكف كامنبي عن الغناء وابدى دلائل الألم ..

وكان حوري قد جاء الى ايزا في الساعة المحددة للقاءها ، فوجدها جثة  
هامدة ، وساءل نفسه :

« ترى ماذا كانت تريد ان تقوله لي على انفراد ؟ لقد سكنت الى الأبد  
قبل ان تفضي الي به ، ولكن .. اليس من الممكن ان أستنتج ؟

- أنظن يا حوري ان ايزا ماتت مقتولة ؟  
- هذا ما أعتقده يا رنزنوب !  
- لكنها كانت بحذرة . وقد اتخذت كل حيلة ممكنة ، وكان كل ما  
تأكله وما تشربه يفحص ويحرب أولاً !  
- أعرف ذلك يا رنزنوب ومع هذا فقد قتلت ايزا ما في ذلك شك !  
- إنها كانت أكثرنا جيماً فطنة ودهاء ، وكانت أكيدة أن اي أذى لا يصل  
اليها . لا شك انه السحر يا حوري ! السحر السيء من روح شريرة !  
- انك تعتقدين ذلك لأنه أبسر ما يمتقده الانسان . والناس دأبهم ذلك .  
لكن ايزا نفسها ما كانت لتؤمن به !  
- وهل كانت ترقاب في أحد ؟  
- أجل لقد أبدت ارتيابها من قبل ، ومنذ ذلك أصبحت خطراً على المدر .  
وكونها قد ماتت يدل على ان ارتيابها كان في محله !  
- وهل أخبرتك من هو ؟  
- كلا . إنها لم تخبرني ، ولم تذكر اسم أحد مطلقاً . ومع ذلك أعتقد اننا  
اتفقنا في التفكير ، أنا وهي !  
- إذن يجب عليك ان تخبرني يا حوري حتى أكون على حذر .

- كلا . إن شدة اهتمامي بسلامتك تمنعني من ان أخبرك .  
فقطلمت اليه واجمة ثم قالت له :  
- ليست حياتي في أمان ؟

فبان الكدر على وجهه وقال :  
- كلا ، ليست في أمان لا أحد هنا في أمان . ولكنك آمن على نفسك  
الآن منك إذا عرفت الحقيقة ، لأنك في هذه الحالة تكونين خطراً على المدر  
يباهر إلى إزالته !

- وأنت يا حوري ؟ ألا تعرف من ذلك المدر ؟

- أظن إني أعرفه ، لكني لم أقل شيئاً ولم يصدر عني أي شيء يدل على  
ذلك . قد تخلفت ايزا عن فطنتها إذ نم كلامها عما تعرفه ، ودلت على اتجاه  
فكرها ، وقد قلت لها هذا صراحة !  
ثم تركها ومضى ، فهتفت به قائلة :  
- حوري . حوري .. إلى أين أنت ذاهب ؟

فالتفت اليها وقال في هدوء :

- إلى الحقول مع يحموز إن أماننا عملاً كثيراً يؤدي وبدون ، فقد أوشك  
الحصاد على التمام .

- وكامني ؟ . أذهب هو معكم أيضاً ؟

- نعم ، سيذهب كامني معنا .

فصاحت رنزنوب تقول :

- إني أخشى ان أبقى هنا . أجل اني خائفة حتى في رابعة النهار ،  
وبرغم وجود الخدم حولي !

فعاد اليها حوري في خطى وثيدة متزنة ، ثم همس اليها قائلاً :

- لا تجزعي ! . ليس هناك أي سبب للجزع !

فنظرت اليه عابسة وقالت :

- ولكننا في خطر ولست أبا المهدة أولاً .. أهذا ما نعيه ؟  
- إجتهدي ألا تفكري في الأمر يا رنزنوب . إني أفعل الآن كل ما في استطاعتي وإن كان يبدو لك إني لا أفعل شيئاً !

- فهمت ! إن الدور على يحموز أولاً . لقد حاول العدو ان يقتلك باسم ففشل .. والآن سيعاود مرة ثالثة ولهذا تصحبه أنت ولا تفارقه .. لكي تحميه . وبعد ذلك يهيء دور أبي ثم دوري من ذا الذي ينفذ أمرتنا إلى حد أن ..

فقطع حوري كلامها وقال في حزم :  
- اسكتي ولا تتكلمي عن ذلك اثقي بي يا رنزنوب .

- إني أثق بك يا حوري .. انك لن تدعني أقتل .. إني أحب الحياة ولا أريد ان أتركها قبل الأوان .

- إطمئني إن نتركي الحياة على تلك الصورة التي تخشيناها ؟

\*\*\*

جلست رنزنوب ترقب كيت ، وهي تعاون أطفالها على صنع نماذج من الطين .

وكانت أصابعها مشغولة بالمعجن والتشكيل ، ووجهها ، كالعادة ، عاطلاً من كل تعبير . ولم يبدو عليها أي تأثير ، من الجو المملوء حولها بالموت والخوف ..

فقد نصح حوري لرنزنوب بعدم التفكير ، لكنها لم تستطع اتباع هذه النصيحة .

وإذا كان حوري يعرف من هو العدو ، وإذا كانت ابناً قد عرفته ،

فلماذا لا تعرفه هي كذلك ؟ . ربما كان الأفضل لها حقاً ألا تعرفه ، ولكن أي إنسان في مثل موقفها يمكن ان يقتنع بذلك ؟ . إنها تريد أن تعرف ..

ولا شك ان الأمر سهل واضح ، فإن أباهما بالبداهة لا يمكن أن يرغب في قتل أبنائه ، فإذا تركت أباهما جانباً فمن يبقى اذن ؟ لا يبقى محلاً للشبهة سوى كيت وحنث .

لكن كيت وحنث امرأتان ضعيفتان .. وهما ولا شك أعجز من ارتكاب تلك الجرائم الفظيعة .. هذا الى انه ليس لإحدهما اي باعث معقول يدفعها الى اقتراح الجرائم المذكورة .  
ثم قالت رنزنوب لنفسها :

- ان حنث تبغض الجميع .. اجل لا ريب انها تبغضهم .. فقد صرحت لي بأنها ثققتني . فلماذا لا ثققت الآخرين كذلك ؟ . ولكن .. أنكروه حنث المحوتب ايضاً ؟ كلا . فقد ظلت سنوات وهي تتعلقه وتبدي له جانب الذل والمسكنة ، وهو يعتقد سذاجتها واخلاصها . ولا ريب ان هذا الاخلاص لا يمكن ان يكون كله رياء وميماً . ولكن .. اذا كانت حنث مخلصه لأمحوتب ، فكيف يمكن ان تقتل أولاده وتسبب له كل ذلك الحزن والألم ؟ لعلها أبغضته هو ايضاً ، او لعلها كانت تبغضه منذ البداية وإنما تتعلقه لتتبعين ضعفه

كانت رنزنوب جالسة ، مشغولة الذهن بهذه الأفكار ، بينما كيت منصرفه عنها الى ملاعبة الأطفال ، ثم لحظت طول اطراقها وسكوتها أخيراً فسألتهما :

- ماذا بك يا رنزنوب ؟ انك حقاً لفريبة الأطوار .  
فوقفت وقالت :

- انه الجو الخفيف الذي نميش فيه .



فردت كنت دون اهتمام :

- آه ، هذا فقط ؟

فدهشت رنزنوب لمدم الاكثرات البادي عليها وسألت :

- الست خائفة يا كيت ؟

- خائفة ؟ كلا . لست أشعر بخوف ، واذا حدث شيء لأحوتب  
فإن الأطفال بحميمهم حوري . ان حوري رجل شريف . وسيحرس  
ميراثهم لهم .

- لكن يحموز هو الذي سيتولى امرهم .

- ان يحموز سيموت ايضاً .

- عجباً .. كيف تقولين ذلك يهدوه ؟

ففكرت كيت لحظة ثم هزت كتفها وقالت :

- اننا امرأتان معاً . فلأصدقك القول . ان احوتب كان دائماً مستبداً  
ظالماً . فقد اساء التصرف اذ اتخذ لنفسه خلية وخضع لإغرائها اياه بأن  
يحرم أبناءه من الميراث . اني لم احب احوتب قط . اما يحموز فهو لا  
شيء . فقد كانت سائبي تسيطر عليه من كل الوجوه . وبعد وفاة سائبي  
صار يستخدم سلطته ويصدر الأوامر . غير انه بالطبع يؤثر اولاده على  
اولادي ، وعلى هذا ففي موته خير لأولادي .. هذا ما اراه انا . ان حوري  
لا اولاده ، وهو عادل .. ان كل هذه الحوادث مروعة ، ولكنني فكرت  
فرايت انها لاخير .

وازدادت دهشة رنزنوب وعادت تسأل :

- انك عجيبة يا كيت .. انسيبت ان زوجك الذي كنت تحبينه كان

اول القتلى في البيت ؟

فنظرت اليها كيت نظرة ام تخل من سخريه وقالت :

- انك احياناً ، مثل تيتي ، يا رنزنوب .. حقاً ، اكاد اقسم انك

طفلة مثلها .

- انك غير حزينه على سوبك .

- اني قد اتبعت التقاليد بحذافيرها ، وانا اعرف كيف يكون مسلك

الأرملة التي مات زوجها حديثاً .

- اجل ، وقد وقف الأمر عند هذا الحد .

فهزت كيت كتفها وقالت :

- لماذا كان ينبغي لي ان احبه ؟

- الم يكن زوجك اباً لأطفالك ؟

فرقت ملامح وجه كيت ونظرت بعطف وحنان الى ولدها الصغيرين  
وهما يلعبان بدمى من الطين ، ثم انتقلت بنظرتها الى عنخ وهي تمشي  
بصعوبة وتغني وترفع ساقيها الصغيرتين .. والتفتت بعد ذلك الى رنزنوب  
وقالت لها :

- نعم انه ابو اطفالي ، وانا احمد له ذلك . ولكن ماذا كان غير  
ذلك ؟ لقد كان شاباً طائشاً وسيماً ، وكان يذهب دائماً الى النساء  
الأخريات . ولم يتخذ لنفسه اختاً تعيش معنا في البيت وتكون نافعة  
لنا جميعاً .

كلا ، بل كان يذهب الى بيوت سيئة السمعة ، وينفق فيها كثيراً من  
الذهب والنحاس ، وكان يشرب الخمر ايضاً ، ويطلب اغلى الراقصات  
اجراً ..

وقد كان من حسن الحظ ان احوتب كان لا يترك له العنان ، ويحاسبه  
حساباً عسيراً على ما يبيعه من منتجات المزرعة . فأني حب واي احترام كان  
يكنني ان اكنها لرجل من هذا الطراز ؟

ومن هم الرجال على اي حال ؟

ان مهمتهم ان ينسلوا اطفالاً وهذا كل ما في الامر . ولكن نحن النساء

تختلف لاولادنا كل ما نملك .

كان صوت كيت وهي تقول ذلك مليئا بالاحتقار ، وقد تغيرت سحنة وجهها القوي القبيح .

ففكرت رنزنوب وقالت لنفسها :

- ان كيت قوية .. واذا كانت غبية ، فإنها غباوة الرضى عن النفس .. انها تكبره الرجال ، وتحترمه .. كان ينبغي لي ، ان اعرف ذلك .

لقد لحت مرة من قبل ، بارقة من خنقها ووعيدها .. اجل ، ان كيت قوية !

ثم وقع نظرها دون قصد على يدي كيت ، اذ كانتا تمصران الطين وتمجنازه . وكافتا يدين قويتين ، ذات عضلات متينة . فرقبتها رنزنوب وهما تدفعان الطين .

وتذكرت ابي ، ويدين قويتين تدفعان رأسه الى الماء ، وتمسكان به فيه حتى اختنق ومات .

ثم قالت لنفسها :

- ان يدي كيت لا تعجزان عن ذلك .

وحدث بعدئذ ان سقطت عنخ الصغيرة وتدهرجت ، واخذت تصرخ ، فأمرعت امها اليها تحملها وتحضنها وتحنو عليها وقد تمثل الحنان في ملاحظها .

ثم جاءت حنت من الشرفة وتقول :

- هل حدث شيء .. ان الطفلة تصرخ بشدة .. فقد حسبت انه ربما ..

وسكنت بفتة .. وكأنما ساءها ألا يتحقق ما توقعته من حدوث ضرر جديد ..

ورددت رنزنوب بصرها بين المرأتين .. فرأت البفض في عيني احداهما والحب الاموي في عيني الاخرى .

\*\*\*

وقفت رنزنوب امام أخيها يحموز وقالت له :

- يجب أن تحذر كيت يا يحموز !

فقال لها في دهشة :

- كيت ؟ كيف ؟ ماذا تقولين يا أختاه !

- اجل ، ينبغي ان تحذر كيت .. إنها خطيرة أكثر مما نظن جميعاً .

فسكت قليلاً مفكراً ثم قال :

- إن كيت امرأة ودیعة خاضعة .. ليست على حظ من الذكاء وهي ..

فقطعت كلامه قائلة :

- إنها ليست ودیعة ولا خاضعة . إني خائفة منها . وأريد أن تأخذ حذرك .

فابتسم وقال :

- آخذ حذري ممن ؟ اني لا أقدر ان أنصو كيت تقتل وتنتشر الرعب ! ليس لها الذكاء اللازم لذلك .

- إن الأمر ليس أمر ذكاء ، تكفي المعرفة بالسموم . وانت تعرف ان بعض الأسر لها معرفة بها ، تتوارثها البنت عن الأم ، وهن يستخرجنها من بعض الأعشاب ، وهو نوع من العلم يسهل على مثل كيت ان تتلقاه . أنسيت

انها تستخرج الأدوية من الأعشاب لأطفالها عندما يمرضون ؟

فقال يحموز بعد تفكير :

- هذا صحيح .

وعادت رنزنوب تقول :

- وحنث أيضاً .. إنها امرأة شريرة فاحذرها !

- أما هذه فإننا لم نجها قط ، ولولا حماية أبي لها .

فنظرت اليه في دهشة ، إذ كانت هذه أول مرة تسمعه فيها ينتقد أباه ،

بعد ان كان دائماً شديد الحرص على ألا يسه بأي نقد .

ثم قالت لنفسها :

- إن يحموز الآن يستولي على السلطة تدريجياً ، وقد فقد المحوتب نشاطه في

الأسابيع الأخيرة ، وصار يصرّف الساعات وهو يحملق أمامه شارد الذهن

وأحياناً لا يفهم ما يقال له .

ثم قالت ليحموز وهي تنظر حواليتها :

- أتظن انها هي .. هي التي ..

فأسسك يحموز بذراعها وقال :

- اسكني يا رنزنوب . ان هذه الأشياء لا يصح التحدث عنها ، حتى

ولا همساً .

\* \* \*

كان اليوم التالي ، يوم عيد « القمر الجديد » ، فصعد المحوتب الى المقبرة في

ساعة مبكرة من الصباح ليقدّم الهبات المعتادة .

وقد اقترح يحموز أن يتولى عنه القيام بهذه المهمة ، لكنه أبى

وأصر على أن يؤدي تلك المراسم بنفسه .

وقال له بصوت واهن :

- يجب ان أؤدي هذه المهام بنفسى ، لأطمئن الى انها تؤدي كما

يجب ، هل فررت قط من القيام بواجباتي ؟ ألم أعلم جميعاً وأعن بكم

جميعاً ؟

ثم توقف عن الكلام هنيئة وقال :

- جميعاً ؟! قد نسيت ان ولدي الجريئين سوبك وايبى قد ذهبوا وانتمها ،

ولم يبق لي الا أنت يا يحموز واختك رنزنوب ! نعم قد بقيتما يا ولدي العزيزين ،

لكن الى متى ؟ هذا ما لا أدريه !

ثم تنهد وأطرق مفكراً ، فقال له يحموز بصوت مرتفع :

- سنبقى سنوات عديدة .

ففهم المحوتب بعبارة غير مفهومة ، ثم رفع صوته قليلاً وقال :

- ان حنث تفهمني فقد كانت تفهمني دائماً .. انها تقدر عظم

تبعاتي ! ولقد كانت حنث دائماً متواضعة ذليلة مخلصه . وستكافأ

على ذلك .

ثم سكت مرة اخرى ، وما لبث ان قال فجأة .

- أقام أنت يا يحموز ؟ يجب ان يكون لحنث كل ما تريده يجب ان

تكون أوامرها مطاعة !

فقال يحموز في دهشة :

- أوامر حنث يجب ان تطاع ؟! حسناً .. ولكن لم هذا

يا أبي .

- هذا ما أريده .. ان ارادة حنث متى نفذت ، فلن تحدث وفيات

جديدة .

ثم خرج ، تاركاً يحموز ورنزنوب ينظر كل منهما الى الآخر في دهشة

وانزعاج ..  
وقالت لاختيها أخيراً :  
- ما معنى ذلك يا أخي .  
- لا أدري .. اني احياناً اظن أبانا لا يفقه ما يقوله .

.. إن المهنطين يطلبون ملاءات أخرى ، ولقد استخدموا أكدياساً من  
الملاءات استعمالوا أمس أربعمائة ذراع منها ، إن هذه الجناسات تتطلب  
ملاءات لأعدادها ! وعلمنا الآن أن نستخدم هذه الملاءات القديمة ، إنها من  
صنف جيد ولم يصبها البلى ، إنها ملاءات أمك يا يحموز ؟

- ربما كان هو كذلك ، ولكن حنت تعرف تماماً ما تقوله ، وما  
تفعله . وقد ذكرت لي منذ وقت وجيز انها هي التي متمسك بالسوط في  
هذا البيت .

ومضت فترة وهما ساكتان ، وكل منهما ينظر الى الآخر . ثم وضع يحموز  
يده على ذراع اخته وقال لها :  
- لا تغضبيها . انك نظهرين عواطفك اوضح مما ينبغي يا اختاه .  
لكنك قد سمعت الآن ما قاله أبونا .. اذا نفذت ارادة حنت ، فلن  
تحدث وفيات .

\*\*\*

كانت حنت جاثمة في احدى غرف الخزن تعد أكدياساً من الملاءات القديمة  
ثم توقفت عن العد ، وأدنت احداها من عينيهما متأمله العلامة الموضوعه عليها  
فقالته تحدث نفسها :

- انها ملاءات عشائت ، وهذه علامة السنة التي جاءت فيها وأنا معها الى  
هذا البيت .. كان ذلك من زمان بعيد .

وشمرت بوقع قدمين وراها ، فارتاعت ونظرت خلفها فرأت يحموز ،  
وسمته يسألها :

- ماذا تفعلين يا حنت .

- من الذي سمح لك بأخذ هذه الملاءات ؟  
فضحكت وقالت :

- إن أحموتب قد عهد الي في كل شيء افسأنا لست في حاجة لأن  
استأذن أحداً ! إنه يثق بعنت المعجوز المسكينه ، ويوقن بأنها حسنة  
التصرف ، لقد قمت معظم العمل في هذا البيت ، وأحسبني سأذلقى الآن  
جزائي على ذلك  
فقال يحموز في صوت هادىء :

- هذا ما فهمته أخيراً ، وقد ذكر أبي أن كل شيء يتوقف عليك !  
.. هل أحموتب قال ذلك ؟ انه ليسرني أن أسمع هذا ولكن ربما لا  
يكون هذا متفقاً مع رأيك ؟

فقال يحموز بلهجة معتدلة وهو يرقبها عن كثب :  
- الواقع اني لم اكون لي رأياً في هذا بعد !

- من الخير لك أن يتفق رأيك مع رأي أميك يا يحموز .. افسأنا لا نريد  
متاعب جديدة ، اليس كذلك ؟  
فسألها :

- لست أفهم ما تقصدين ، أتعنين أننا لا نريد وفيات جديدة ؟

- وفيات جديدة ؟ لا أعلم .. لكنني أشعر بأن شيئاً منها سيحدث !  
فسألها :

- إذن . من الذي عليه الدور الآن يا حنت ؟  
فبقت وقالت :

- أتظن أني أعرف؟ ما الذي يجعلك تظن هذا يا يحموز؟

فقال لها :

- أنا أعتقد أنك تعرفين أموراً كثيرة .. ألم تعرفي ان لبيبي سيموت؟

إنك داهية يا حنت لا شك في ذلك!

فقالت في صراحة :

- حسناً يا يحموز ، يسرني انك بدأت تدرك ذلك الآن .. اني لم أعود

حنت الغبية المسكينة التي لا تعرف شيئاً ، بل أنا وحدي التي اعرف

كل شيء؟

فسألها :

- ماذا تعرفين يا حنت؟

فقالت بحدّة :

- أعرف اني أستطيع أن أفعل ما أشاء في هذا البيت .. وأعرف ان

أحداً لن يستطيع ان يقف في سبيلي . إن أحموتب لا يعتمد إلا علي ..

وأنت ستفعل مثله يا يحموز ، اليس كذلك؟

- ورتزنب؟

فضحكت بخبث وقالت :

- إن رتزنب ان تكون هنا!

- أتظنين أن رتزنب عليها الدور في الموت؟

- ماذا تظن أنت يا يحموز؟

- اني أنتظر ما تقولينه أنت .

- لملي لم أقصد سوى ان رتزنب ستزوج ، وستذهب بعيداً؟

فسألها :

- وماذا تعرفين غير هذا؟

فضحكت ضحكة مكتومة وقالت

- إن إيزا ذكرت لي يوماً ان لساني خطر ، وامله كذلك

وضحكت ضحكة عالية اهتز جسمها معها ثم قالت :

- حسناً يا يحموز ، وماذا تقول؟ ألم يشن لي أن أفعل ما أشاء في هذا

البيت؟

فنظر اليها يحموز نظرة فاحصة ثم قال :

- أجل يا حنت ، انك داهية ، وستفعلين ما يحلو لك في هذا البيت!

ثم خرج ليقابل حوري ، وكان هذا قادمًا من القاعة الكبرى ، فلما رأى

يحموز قال له :

- هذا أنت يا يحموز؟ إن أحموتب ينتظرك للصعود الى المقبرة .

فأرما برأسه موافقاً وقال :

- إني ذاهب إلى هناك .

ثم خفض صوته وقال له :

- إسمع يا حوري ، يخيل لي أن حنت قد جنت الا شك في ان بها مس

من الشياطين ، ولقد بدأت أظن انها المسؤولة عن كل ما حدث!

فسكت حوري لحظة ، ثم قال يهدونه المعتاد :

- إنها امرأة عجيبة وشريرة كذلك كما أعتقد!

فقال يحموز بصوت اكثر خفوقاً :

- أظن يا حوري ان رتزنب في خطر .

فتساءل حوري قائلاً :

- في خطر من أي شيء؟ من حنت؟

- أجل .. لقد فهمت من كلامها ان رتزنب قد يكون الدور عليها في

الموت!

وهنا سمعا أحموتب يصيح قائلاً :

- أنتظر طول اليوم؟ أي سلوكك هذا؟ لم يعد أحد يتم بي ولا يقدر ما

أقاسيه ، ابن حنت ؟ انها هي التي تفهمني .  
وارتفع صوتها من داخل غرفة المخزن وهي تقول :

- أسمع أنت يا يحموز ؟ ان حنت هي الوحيدة التي يعتمد عليها .  
فذهب حوري ليلقى المحوتب .

وقال يحموز بضع كلمات لحنت فأومأت برأسها موافقة ، وبان في عينها  
بريق الظفر والأذى ..

ثم لحق يحموز بأحوتب وحوري ، وذهب الرجال الثلاثة إلى المقبرة .

\*\*\*

مضى اليوم بطيئاً ثقيلًا على رنزناب ، وكانت قلقة ، تنتقل بين البيت  
والشرفة ، ثم منها إلى البحيرة ..

ثم من البحيرة إلى المنزل ..  
وعند الظهر رجع المحوتب ، فتناول غداءه ، ثم جلس في الشرفة ..  
وجاءت رنزناب فجلست معه واضعة يديها على ركبتيها ، وكانت تنظر إلى  
وجه أبيها بين الفينة والفينة ، متفكرة فيما يرسم على ملامحه من علائم الدهشة  
وشرود الذهن .

وكان قليل الكلام ولكنه نهض فجأة وسأل :

- ابن حنت ؟

وكانت حنت قد ذهبت بالقماش إلى الخنطين ، فعاد المحوتب الى مجلسه  
واطرافه ..

إلى أن سأله رنزناب :

- ابن حوري ويحموز ..

فأجاب قائلاً :

- لقد ذهب حوري الى حقل الكتان البعيد ، فإن هناك حساباً يعمل .  
ويحموز في المزرعة ، ان العيب يقع الآن على كاهله وأسفاه على سوبك وايبني  
ولدي العزيزين ، ولدي الجميلين ..

فحاولت رنزناب أن تشغله عن فجيئته في أخويها ..  
وقالت له :

- ألا يستطيع كامني أن يشرف على العمال ؟  
فنظر اليها في دهشة وقال :

- كامني ؟ من يكون كامني هذا ؟ ليس لي ولد بهذا الاسم .  
- كامني الكاتب يا أبي . وأنت قد اخترته لي زوجاً .  
فأخذ ينظر اليها متفرساً ..  
ثم قال في دهشة وذهول :

- ماذا تقولين ؟ انك ستزوجين خاي ؟

فتنهدت رنزناب أسفاً وحزناً ولم تقل شيئاً ، اذ وجدت من القسوة أن  
تذكر أباها بالحقيقة التي ذهل عنها .  
وبعد برهة وقف أحوتب فجأة وقال :

- ان كامني ذهب لبصدر تعليمات الى المشرف على معمل الجمعة ، يجب  
أن أذهب لألحق به .

ثم انطلق خارجاً في خطوات متزنة ، وقد عاوده عزمه القديم ، فتنفست  
رنزناب الصمداء وقالت تحدث نفسها :

« لعل ذلك الدهول الذي غشي ذهنه قد زايله ، »

ثم نظرت حولها وقد بدا لها البيت موحشاً ، وكان الأطفال عند طرف  
البحيرة البعيد .

ولم تكن كبت معهم .

فتساءلت رنزنوب :

- كيف تركتهم كيت يلعبون وحدهم ؟ وأين هي الآن ؟

ثم خرجت حنت من البيت الى الشرفة وهي تنظر حولها ، فلما رأت رنزنوب ، استعادت لهجة الذل والمداهنة ، وقالت :

- لقد انتظرت حتى أستطيع أن اجدك وحدك يا رنزنوب ؟

- لماذا يا حنت ؟

فخفضت صوتها وقالت :

- عندي رسالة لك . من حوري ؟

فقال رنزنوب بلهفة :

- ماذا يريد ؟

- انه يطلب اليك ان تصعدي اليه في المقبرة .

- اهو يريد أن أفعل ذلك الآن ؟

- كلا . ولكن قبل ساعة من الغروب ، هذه هي رسالته ، وقد ذكر

انه لا يكون هناك وقتئذ ، وانه يرجو منك ان تنتظريه هناك حتى يأتي ،

لاهمية الأمر الذي يريدك من أجله .

وسكنت لحظة ثم قالت .

- لقد انتظرت حتى اجدك وحدك لأبلغك هذه الرسالة ، لأنه ينبغي ألا

يعلم بها أحد .

شعرت رنزنوب بارتياح لفكرة ذهابها الى المقبرة حيث الهدوء والسكينة ،

واقام حوري هناك والتحدث معه .

ولكنها عجبت قليلا من انه أمر الى حنت بهذه الرسالة ، ثم قالت

لنفسها :

« ما الذي أخشاه من حنت ؟ اني أقوى منها

ثم نصبت قامتها بكبرياء ، شاعرة بشبابها مطمئنة الى الحياة .

وعادت حنت إلى مخزن القماش وهي تضعك مسرورة بمدان أبلغت  
تلك الرسالة إلى رنزنوب .

ثم انحنى على كومة من الملابس وقالت :

- سنحتاج إلى مقدار آخر من هذه الملابس ؟

ومضت تعدها ، ثم تتوقف عن العد بين الحين والحين لتدني إحداها من

عينها وتقول :

- اتسممين يا عشائيت ؟ اني سيدة البيت الآن ، واني أقول لك أن

قماشك هذا سيلف جسماً آخر ، وأي جسم هو ؟ أتعرفين ؟ ها .. ها ..

ها .. انك لم تستطع عمل شيء لمنع هذه الوفيات ، أنت وخالك حاكم

الاقليم ؟

وسمعت حركة وراء أكداش الكتان ، فأدارت رأسها لترى ..

ثم بسط قماش عريض من الكتان فجأة فوقها ، كما فمها وأنفها

وأخذت يد صلبة تلف القماش حتى خمدت حركتها .

جلست رنزنوب عند مدخل الغرفة الصغيرة تنظر إلى النيل وقد استغرقت في تفكير عميق .  
فقد بدا لها أنه انقضى زمن طويل منذ جلست هناك لأول مرة بعد عودتها إلى بيت أبيها .  
وقد كرت قولها يومذاك :  
- إن كل شيء باق كما تركته منذ ثمان سنوات .

كما تذكرت ان حوري عارضها وذكر لها انها ، هي نفسها ، لم تعد رنزنوب التي ذهبت مع خاي . فردت عليه بأنها لم تتغير . لكنه أخذ يحدثها عن التغيير الذي يأتي من الداخل ، وعن الفساد الذي لا تم عنه ظاهرة خارجية !

انها الآن تعرف بعض مسا دار بخلده ، بعد ان وقع ما وقع من الكوارث .

إنه بلا شك قد أراد أن يعد ذهنها لذلك ، فقد كانت ساذجة ، واثقة بالناس مطمئنة إلى الظواهر الخارجية التي لأسرتها ، ولم يفتح عينيها على ما وراء هذه الظواهر سوى مجيء نوفريرت !

ومضت رنزنوب تحدث نفسها قائلة :

- نعم ، ان مجيء نوفريرت هو المحور الذي دار حوله كل ما حدث ، ومع نوفريرت جاء الموت إلى هذه الدار !

وسواء كانت نوفريرت شريرة أم لا ، فقد جلبت معها الشر ، وهذا ما لا شك فيه . بل أن هذا الشر ما زال جاثماً في البيت وسط أفراد الأسرة !

وخطر لرنزنوب مرة أخرى ان كل ما حدث إنما كان بسبب روح نوفريرت الحائرة المؤذية الراجية في الانتقام ، لكن هذا الخاطر ما لبث ان حل محله خاطر آخر .. ان حنث الحقود الهبة للأذى ما زالت على قيد الحياة !

وشمرت برجفة تعاري جسمها ، فنهضت ووقفت تنظر حولها وتحدث نفسها بقولها :

- لا أستطيع ان أنتظر حوري أكثر مما انتظرت . لقد آذنت الشمس بالمغيب . فلماذا لم يجيء ؟

ثم شرعت تهبط الدرب المنحدر ، صوب الوادي السمحيق .

وكان الهدوء يشمل المكان ، وسرها ما حولها من سكون وجمال ، ولكنها بقيت تسائل نفسها :

- لماذا تأخر حوري ؟ لو انه جاء لقصت معه ساعة أسمع فيها بالاطمئنان إلى حديثه ، الذي لن يتساح لها ان تستمع له بعد أن تصبح زوجة لكامني !

ولكن .. أتتزوج كامني حقاً ؟

لقد أفاقتم بفتة من زهول الاستسلام الذي غمرها طويلاً ، وشمرت بما يشمر به الذائم ، الذي استيقظ بفتة من سبات عميق وحلم مفرع . إنها وسط ما كانت فيه ، من خوف وشك ، قد رضيت بكل ما عرض عليها !



ولكنها الآن عادت الى نفسها .

فإذا كانت ستتزوج كامفي فيجب ان يكون ذلك عن رغبة حرة لها ، لا  
لان امرتها قد ارادت لها هذا الزواج .

كامفي الوسم ذو الوجه الضاحك ! انها تحبه ليس كذلك ؟ ولهذا السبب  
ستتوجه !

لقد شعرت رنزنوب بأن شخصيتها الاولى عادت اليها في هذه الساعة ،  
ساعة الغروب فوق ذلك المرتفع ، ولم تجسد هناك ما يدعو الى الحيرة أو  
الاضطراب والخوف .

ومم تخاف ؟ !

أم تذكر يوماً لحوري انها تود لو تسير وحدها في هذا الدرب ، وفي وقت  
الاصيل الذي ماتت فيه نوفريت ؟ وانه سواء أطرق قلبها الخوف أم لم يطرقه ،  
فإنه يذبغي أن تمشي هناك وحدها ؟

حسناً . إنها تفعل ذلك الآن . في مثل هذه الساعة انحنيت هي وساتيبي

على جثمان نوفريت ..

وفي مثل هذه الساعة أيضاً كانت ساتيبي تهبط الدرب فنظرت خلفها بفتنة  
فرأت القضاء المحتوم .

وقد كان هذا وذاك في هذا الموضع نفسه من الدرب ، ترى ما الذي  
سمعته ساتيبي ، فجعلها تستدير لتنظر خلفها ؟ . اعلمها سمعت وقع  
أقدام ؟

وهنا شعرت رنزنوب بأنها هي نفسها تسمع وقع أقدام تتبعها في  
الدرب ، وارتعد جسمها فجأة إذ تملكها الخوف ، وخطر ببالها ان نوفريت  
وراءها تتبعها .

على انها برغم الرعب الشديد الذي استولى عليها لم تبطئ من خطاها كما  
انها لم تسرع .

بل أخذت تستجمع قواها الخائرة ، معترمة التغلب على الخوف والخطر  
أياً كان مصدره ، وحدثت نفسها قائلة :  
- ما الذي أخشاه ؟ اني لم آت أمراً أحاسب عليه .

وهكذا وانتهت شجاعتهما فنظرت خلفها وهي لا تزال تسير ، وعندئذ شعرت  
بالطمأنينة تحمل بفتنة محل الخوف .

إنه يحموز يتبعها ، ليس روح نوفريت الميتة ، ولكنه أخوها الحبيب .  
لا بد انه كان مشغولاً في غرفة الصدقات بالمقبرة ، وانه خرج منها بعد  
مرورها .

وقفت تصيح صيحة فرح :

- يحموز . يسرني انه أنت .

وكان قادماً نحوها مسرعاً وبدأت تقول له جملة أخرى تشرح فيها  
ما كان قد ساورها من خوف لا أساس له ، واذا بالكلمات تجمد على  
شفتيها .

ان القادم ليس يحموز الذي تعرفه ، ليس أخاها الشفيق الوديع .

كلا ، فهذا الذي تراه تلمع عيناه ، ولسانه يبيل شفتيه ، ويداه  
مدودتان قليلاً امام جسمه ، وقد انحنيت الى تحت واصبحت أصابعه مثل  
التهالب .

وكان ينظر اليها نظرة لم تخطئ فهمها . فقد كانت نظرة قاتل تعود  
القتل ، وكانت ملامحه تنطق بالقسوة والإثم والشر ، ووجهه ينم عن الرضا  
إذ ظفر بالفريسة .

وتجلت لها الحقيقة المرة فجأة .

ان العدو الخفي هو يحموز ، هذا الوحش المستتر وراء قناع الوداعة واللطف  
والشفقة .

فقد كانت تمتد ان يحموز يحبها ، لكن الحب لا يمكن ان يكون خاف

مثل هذه السحنة المقلوبة ، التي تشبه سحنة الشيطان .

وأطلقت رنزنب صرخة ضعيفة يائسة ، وأدركت ان هذا هو الموت ، وان ليس لها قوة تفالب قوة يحموز ، فهي لا بد ساقطة بعد لحظة حيث سقطت نوفريرت ، وساتيبي من قبل في هذا الموضع نفسه من الدرب .

ومرة اخرى استطاعت ان تجرد صوتها وان تصرخ هاتفة باسم يحموز . وكان صوتها ينم عن كل ما كانت تكنه من الحب لاختيها الاكبر . لكن ماذا يفيد الحب والتوسل ؟

لقد ضحك يحموز ضحكة صغيرة ناعمة ، لا كضحكة البشر .. ثم اندفع نحوها ، ويداه ممدودتان ، وأصابه منحنية ، لتطبق على عنقها .

فوقفت مسندة ظهرها الى صخرة هناك ، ومدت يديها المرتمشتين محاولة ان تدفع عن نفسها ذلك الموت الدام .

فجأة سمعت صوتاً ضعيفاً له رنين كرنين الموسيقى

وطار في الهواء شيء لم تتبينه تماماً .. ثم وقف يحموز وترنح ، ثم صرخ صرخة عالية وخر ساقطاً عند قدميها .

ونظرت رنزنب اليه مذهولة ، فإذا بهم يملوه ريش قد استقر في ظهره .

\* \* \*

- يحموز ؟ . يحموز ؟

أذهلت الصدمة رنزنب فجعلت تردد اسم اختيها مرة بعد أخرى ، وهي لا تصدق ما رأتة بعينيها .

وكانت خارج الغرفة الضميرية ، وقد أحاطها حوري بذراعه ، ولا تكاد تذكر كيف قادما الى هناك ، وانما كانت تكرر اسم اختيها في دهشة وخوف .

وأخيراً قال لها حوري

- أجل يحموز . انه يحموز طول الوقت .

- كيف ؟ ولماذا ؟ كيف يمكن ان يكون هو ؟ ألم يشرف على الموت مع سوبك تأثراً بالسم الذي كان في النبيذ . فقال حوري :

- كلا . انه لم يكن في خطر الموت ، فقد تجرع من النبيذ المسموم ما يجعله مريضاً فقط ، لكنه غالى في اظهار أعراض المرض وآلامه . وكان يعرف ان هذه هي الطريقة الوحيدة لإبعاد الشبهة عن نفسه .

- ولكنه ما كان يستطيع قتل ابي ، فقد كان وقتئذ ضعيفاً خائر القوى .

- وهذا كان ادعاء منه . ألا تذكرين ان الطبيب ذكر انه متى زال أثر السم سيستعيد قوته سريعاً ؟ . فقد حدث هذا ، لكن يحموز تظاهر بعكسه .

فعمدت هي تسأل :

- لماذا يا حوري ؟ اني لا أستطيع فهم ما حدث .

فتنهت حوري قائلاً :

- أتذكرين ، يا رنزنب ، اني حدثتك عن الفساد الذي ينبت من الداخل ؟

- أذكر ذلك ، وقد كنت في الواقع أفكر فيه هذا المساء .

- لقد قلت لي يوماً ان قدوم نوفريرت هو الذي أحدث الشر ، لكن هذا لم يكن صحيحاً ، فقد كان الشر هنا من قبل ، لكنه كان محجوباً في

قلوب أفراد الأسرة .

وكل ما أحدثه مجيء نوفريرت انه كشفه للضوء ، وعلى هذا استحال رقة كيت ووداعتها اثره طاغية لنفسها واطفالها ، ولم يعد سوبك ذلك الشاب المرح اللطيف بل صار ضعيفا داهراً متباهياً .

وأما ابي فلم يمد الطفل الجذاب المدلل ، بل صار أتانياً يدبر المكائد ، ثم انقلبت ساتيري العاتية ذليلة ضعيفة ، والنحدر المحوتب نفسه الى طاغية فخور .

- اني اعرف كل هذا ، كما اعرف بعد حنث من الاخلاص المزعوم ، فقد تكشفت لي الحقيقة تدريجياً . لكن لماذا تحدث مثل هذه الامور ؟ لماذا يصدر الفساد من داخل النفوس كما قلت يا حوري ؟

فهمز حوري كتفيه وقال :

- من يدري ؟ ربما كان النمو ضروريا للخير وللشر في نفس الانسان ، ولعمل الخير الداخلي إذا لم يستطع صاحبه تنميته ، انقلب الى شر . او . ربما كانت الحياة التي يحيونها ضيقة الافق ، فلا يرون فيها الا مرمى أبصارهم .

ولعل هذا كان مرضا اصاب احدهم فقط ، لكنه كان مرضا معديا كالآفة التي تصيب النباتات .

فسكنت قليلا مفكرة ثم عادت تقول :

- لكن يحموز ؟ فقد كان يبدو دائما كما هو لم يتغير .

فقال حوري :

- اجل يا رنزنوب ، وقد كان هذا من دواعي ارتياي فيه ، فلما الآخرين كانوا يحدون لهم منفذاً من حدة طباعهم . اما يحموز فكان هيباً ، يسهل التحكم فيه ، وليست لديه الشجاعة الكافية لان يشور . انه كان يحب اياه ويكده ليكي يرضيه ، ولكن المحوتب كان يحسبه غيباً

بطيئاً ، ويحتقره لهذا .

وكانت ساتيري ايضا تعامله بالازدراء الذي تغربها به طبيعتها المشاكسة . وهكذا ثقل على نفسه تدريجاً عبء الغضب الذي يخفيه في قرارة نفسه ، وكلما زاد وداعة أمام الناس ، اشتد به الكدر الخفي . وأخيراً لما أوشك أن يحنى ثمار جده واجتهاده ، وان يشركه أبوه معه في أملاكه ، جاءت نوفريرت . وقد كان جمالها هو الذي أشعل الشرارة الأخيرة . فقد هاجمت رجولة الأخوة الثلاثة ، ولمست نقطة الضعف عند سوبك إذ صارت تزدرية وتعمده أحق وصغرت من شأن ابي إذ عاملته كطفل ، وأظهرت ليحموز انه في نظرها أقل من رجل .

ولم تنخس ساتيري زوجها بلسانها الحاد قدر ما فعلته بمد مجيء نوفريرت . وقد كان تعبيرها إياه بأنها أكثر منه رجولة ، هو الذي قضى على ما بقي له من ضبطة النفس ، فلما صادف نوفريرت في ذلك الدرب قذف بها من شاقا

فقال رنزنوب :

- كلا يا حوري ! فقد كانت ساتيري هي التي قذفت بها !

- كلا يا رنزنوب . قد أخطأتم جميعاً في ذلك . إن ساتيري قد رأت ما حدث من تحت . أفهمين ؟

- ولكن يحموز كان معك في الزراعة وقتئذ !

- كان هذا في الساعة الأخيرة فقط ، ألا تذكرين يا رنزنوب ان جثمان نوفريرت كان بارداً حين وجد ؟

انك قد تحسست خدها بنفسك وحسبت انها سقطت قبل بضع لحظات ، لكن الواقع كانت قد ماتت منذ ساعتين ، ولولا ذلك لما وجدت خدها بارداً في ذلك الجو الحار

فقد رأت ساتيري ما حدث ، ولذا وعقت خائفة حائرة لا قدرني ما تفعل

حق جئت انت فحاولت بكل جهدها إبعادك .

- لكن .. لكن كيف عرفت كل ذلك يا حوري ؟

- قد استنتجت استنتاجاً ! . وكان مسلك ساتيبي هو الذي لفت نظري ، فلا شك انها كانت في ذعر شديد من شخص أو شيء ، وقد ادركت ان الشخص الذي ترهبه هو يحموز ، لأنها تركت لومه وتعنيفه ، وصارت تواقفة لأن ترضيه وتطيعه .

ولا شك انها قد صدمت صدمة عنيفة إذ رآته يقتل نوفريرت وهي التي كانت تحسبه أضعف رجال الأسرة وتحتقره من أجل ذلك . ثم انقلب تصرف ساتيبي لهذا رأساً على عقب .

إنها كانت كمعظم النساء المشاكسات جبانة إلى أقصى حدود الجبن . فلما تكشفت لها قسوة يحموز وشدة أخذها الفزع فراحت تتكلم وهي قائمة وسرعان ما أدرك يحموز إنها خطر عليه .

والآن يا رنزنوب تدركين الحق فيما رأته ذلك اليوم بعينيك .. فإن ساتيبي لم تر خلفها شبح نوفريرت إذ سقطت سقطتها المميتة ، لكنها رأت ما رأته أنت اليوم . فقد أبصرت في وجه زوجها وهو يتبعها عزمه على القذف بها من عل ، كما فعل بنوفريرت ، ففرت منه خائفة وسقطت ولما لفظت وهي تجود بروحها اسم نوفريرت كانت تحاول ان تخبرك ان نوفريرت ماتت بيد يحموز !

وسكت حوري قليلاً ، ثم استطرد قائلاً .

- وقد أدركت انما الحقيقة من كلمة قالتها حنث عفواً ، فقد شككت من اني لم اكن انظر اليها ، بل كنت أنظر وراءها إلى شيء لا وجود له ! . ثم تحدثت عن ساتيبي .

وبغية رأيت انما ان الأمور أبسط كثيراً مما حسبت أولاً . فإن ساتيبي لم تنظر إلى شيء وراء يحموز بل كان يحموز نفسه هو الذي رآته . وارايت ان

تجرب مدى هذه الفكرة من الصدق فمرضت الموضوع بطريقة مشققة لا تمنى شيئاً إلا ليحموز نفسه إذا كان هو الفاعل .

وقد أدهشته كلماتها ، وظهر أثرها فيه لحظة واحدة لكنها كانت كافية لأن تدرك انما ان ما ظنته هو الحقيقة .

وهنا أيقن يحموز انها تشك فيه ، وان الحقيقة توشك أن تتضح تماماً ، برغم قصة ذلك الغلام الراعي الذي كان خاضعاً له ان يفعل أي شيء بأمره به ، ولو كان دواء يجرعه إياه تلك الليلة كيلا يستيقظ من نومه أبداً !

وهنا قالت رنزنوب :

- آه يا حوري من العسير ان أتصور ذلك ! . إنني افهم ان يحموز يقتل نوفريرت . لكن الجرائم الأخرى ؟

- من العسير ان أشرح لك هذا ولكن ما دام قلب الانسان قد تفتح للشرفانه يزدهر فيه مثل الخشخاش بين القمح !

فقالت رنزنوب :

- آه يا حوري ! قد تولاني الذعر ، حين نظرت خافي ، ورأيت سجنته .

- اعرف ذلك ، وقد أيقنت انه اذا لاحث له فرصة لان يقذف بك من الدرب فإنه لن يتردد في اقتناصها .

- إذن انت لم تبعث الي بالرسالة التي أبلغتنيها حنث ؟

- لم ارسل اليك بأية رسالة ، واعتقد ان حنث تعرف الحقيقة ، وان يحموز استغلها لكي تستدريجك الى هنا ، ولعلها حسبت ان وقوفها على السر يمنحها قوة قبل يحموز ، ولكنني أعتقد انه ما كان ليدعها على قيد الحياة طويلاً .. وربما كانت الآن ..

فسرت رعدة في جسم رنزنوب وقالت :

- ألا يوجد أحد باطنه مثل ظاهره ؟

- أجل ، هناك بعض الناس .. انا وكامني مثلاً ، فإننا كلينا كما نعرفيننا

ظاهراً وباطناً .

وقد قال الكلمات الأخيرة لغرض في نفسه .

فأدركت رنزنوب فجأة انها في مفترق الطرق وان عليها أن تختار

بين الاثنين .

ثم قال حوري :

- اننا كلينا نجيبك يا رنزنوب ويجب ان تعرفي ذلك

فقلت ببطء :

- ومع ذلك تركت معدات زواجي تعد دون ان تقول اية كلمة ؟

- كان ذلك من أجل وقايتك . وكانت ايزا ترى هذا الرأي نفسه فكان

علي ان ابقى بعيداً بلا غرض حتى يمكنني ان ارقب يحموز عن كثب ولا اثير

عداه لي .

ثم خفض من صوته وقال في تأثر ملحوظ :

- يجب أن تعلمي يا رنزنوب ان يحموز كان صديقي سنوات عديدة ، وقد

كنت احبه ، وحاولت ان اقنع اباك ان يمنحه المركز والسلطة اللذين يصبو

اليهما ، ولكنني فشلت ، وانما حدث ذلك كله في الوقت الأخير .

ومع اني كنت موقناً بأن يحموز هو الذي قتل نوفريرت ، فقد حاولت ان

التمس له الأعذار . ثم جاء مقتل ساتيبي وسوبك ، وبعدهما ابيبي ، ثم

ايزا أخيراً ..

وهنا ايقنت ان الشر الذي في نفس يحموز قد تغلب على الخير وازاحه ،

وهكذا لقي يحموز حتفه على يدي ، وكان موته سريعاً بلا ألم ؟

فهزت رأسها في اسف وحسرة وقالت :

- الموت ؟ دائماً الموت ؟

\* فقال لها حوري :

- كلا يا رنزنوب ؟ ان الحياة لا الموت هي التي تواجهك الآن ، فن الذي

تريد ان تشاركه فيها ؟

فنظرت امامها الى الوادي السحيق والنيل الفضي يتخلله ، وتبست

لمينيتها صورة كامني يتسم وهو جالس امامها في الزورق ذلك اليوم وراحت

تحدث نفسها قائلة :

« انه جميل ، قوي مرح ، واني لأشعر بخفقان قلبي لذكرك ، اجل انه

يمكن ان يحل محل خاي في حياتي ، وسنكون سعيدين معاً ، وسنعيش سوياً

وهنا كل منا بصاحبه ، وسيكون لنا اطفال اقوياء وجوههم جميلة ..

وستكون امامنا ايام مملوءة بالعمل ..

وايام اخرى نركب فيها الشراع فوق صفحة النيل ، وماذا اريده خيراً

من ذلك ؟

ثم ادارت وجهها ببطء تجاه حوري ..

وكأنما فهم ما تريده فقال لها :

- لقد احببتك حين كنت طفلة ، واحببت فيك وجهك الرزين ، والثقة

التي كانت تحذوك الي ، طالبة ان اصلح لك لعبك المحطمة ، ثم عدت الي بعد

ثمان سنوات وصرت تجلسين معي هنا وتصارحيني بما يدور في خلدك . وان

ذهنك يا رنزنوب ليس مثل أذهان بقية افراد الأسرة ، فهو لا يدور حول

نفسه ليتوه في مراديب ضيقة .

إن ذهنك مثل ذهني فهو ينظر إلى ما وراء النيل ليبصر عالماً من الآراء

الحديثة والتفسيرات الطارئة ، عالماً فيه كل شيء . يمكن لمن اوتي الشجاعة وبعد

النظر ..

فقلت له :

- نعم يا حوري . لقد شعرت بهذه الأشياء معك ، ولكن ليس كل الوقت

فهمة لحظات لا أستطيع ان أفبع مجرى أفكارك فأبقى وحدي ..

وقوتت عن الكلام عاجزة عن ان تعبر عن أفكارها بالأسلوب الملائم ،  
إنها لا تدري كيف تكون الحياة مع حوري ، فهو برغم رفته ، وبرغم حبه  
لها ، ستبقى عاجزة عن فهمه من بعض الوجوه ؟

إنها سيستمعان معاً ساعات مملوءة بالفكر والجمال ، ولكن ماذا تكون  
حياتها اليومية العادية ؟

وأخيراً مدت اليه يديها بدافع غريزي وقالت له :

- اسمع يا حوري ، إني ارجو منك أن تختار أنت لي .. خبرني ماذا  
أفعل ؟

فابتسم لها ، للطفلة رنزنوب محمدته ، ربما كان ذلك للمرة الأخيرة .

ولم يتناول يديها وإنما قال بهدوء :

- لا أقدر أن أنصح لك بما تفعلينه بحياتك يا رنزنوب ، لأنها حياتك  
أنت ، وأنت وحدك التي تقدرين أن تقرري ما تريد به شأنها ..

فأدركت في تلك اللحظة انها لن تتلقى منه عوناً على الاختيار ، ولم تجرد  
منه ما يثير حواسها بلحس يدها كما فعل كامني .

وفجأة تجلج امامها الاختيار في أبسط أشكاله ، لقد كان عليها ان تختار  
بين الحياة السهلة والحياة العسيرة ، وأحسست رغبة شديدة في أن تهبط الدرب  
نوياً إلى الحياة السعيدة المعتادة التي عرفتها مع خاي . فهناك الأمان ، وهناك  
المشاركة في المسرات والأحزان .. دون ان تخشى شيئاً سوى الكبر والموت  
نعم .. الموت . لقد دارت بها افكار الحياة دورة انتهت بها إلى الموت ؟ ان  
خاي قد مات ، وكامني ايضاً قد يموت ، وتختفي ملاحه من ذاكرتها كما اختفت  
ملاح خاي .

وعندئذ نظرت إلى حوري وهو واقف بهدوء إلى جانبها ، وعجبت كيف

انها لم تلتفت من قبل إلى منظره .. إنها لم تكن بحاجة لأن تنعم النظر في  
شكله من قبل ؟

وتكلمت وكان في صوتها رنين المزم الذي كان له حين ذكرت له يوماً ، انها  
تسير في الدرب وحدها عند الأصيل ..

وقالت له :

- لقد اخترت يا حوري .. انت اشاركك الحياة ، على الخير والشر ،  
حق الموت ؟

فأحاطها بذراعيه ، وشمرت بفتة بحلاوة وجهه فوق وجهها ، واحسست  
موجة الحياة تفررها .

وقالت لنفسها : لو قدر لحوري ان يموت فإني لا انساه .. ان حوري  
هو أغنية قلبي إلى الأبد .. ومعنى ذلك انه لا موت بعد اليوم ..